Journal of Social Sciences (COES&RJ-JSS)
ISSN (E): 2305-9249 ISSN (P): 2305-9494
Publisher: **Centre of Excellence for Scientific & Research Journalism, COES&RJ LLC**
Online Publication Date: 1st October 2020
Online Issue: Volume 9, Number 4, October 2020
https://doi.org/10.25255/jss.2020.9.4.1372.1396



"A message about what love is" between the Al-Safa Brothers and Ibn Sina

Dr. Marwa Mahmoud Kharma
United Arab Emirates University (UAEU), Al-Ain, U.A.E.

Abstract:
A closer look at the works of the most famous philosophers of Islam indicates that they are less interested in the subject of love. Their primary concern was research in nature and metaphysics, Only a few of Muslim philosophers was written in the love and the most important of them were: Al-Safa Brothers and Ibn Sina, They devoted messages about what love is, and they included in their conversation about it from human material love to divine love, And it is noticed that they have analyzed what love is, and explain its causes and differences in its divisions. I divided the research into an introductory topic: it includes explaining the concept of love, its parts, benefits, harms, and treatment. And to two topics: The first topic: What is love and its belongings among Al-Safa Brothers, and the second topic: What is love and its belongings at Ibn Sina, inspite of the different approach and some opinions among them, everyone agreed to encourage people to rise from the love of images to the love of the photographer, and from the love of the creature to the love of the Creator Almighty.

Keywords:
Al-Safa Brothers, Ibn Sina, Love, Divine Love
Citation:
Kharma, Marwa Mahmoud (2020); "A message about what love is" between the Al-Safa Brothers and Ibn Sina; Journal of Social Sciences (COES&RJ-JSS), Vol.9, No.4, pp:1372-1396; https://doi.org/10.25255/jss.2020.9.4.1372.1396.

بسم الله الرحمن الرحيم

"رسالة في ماهية العشق" بين إخوان الصفا وابن سينا

د.مروه محمود خرمه
أستاذ مشارك في قسم الشريعة والدراسات الإسلامية/كلية القانون/جامعة الامارات العربية المتحدة

الملخص
إن نظرة فاحصة في مؤلفات أشهر فلاسفة الإسلام لتنبئ بقلة اهتمامهم بموضوع العشق فقد كان شغلهم الشاغل البحث في الطبيعة وما وراء الطبيعة، ولم يكتب في العشق من فلاسفة المسلمين إلا قليل كان من أبرزهم: جماعة إخوان الصفا وابن سينا، إذ خصصوا رسائل عن ماهية العشق تدرجوا في حديثهم فيها من الكلام عن العشق المادي البشري وصولاً إلى العشق الإلهي، والملاحظ عندهم أنهم حللوا ماهية العشق وبينوا أسبابه وتفاوت الناس في أقسامه. وقد قسمت البحث الى مبحث تمهيدي: فيه بيان مفهوم العشق وأقسامه وفوائده ومضاره وعلاجه، والى مبحثين: المبحث الأول: في ماهية العشق ومتعلقاته عند إخوان الصفا، والمبحث الثاني: في ماهية العشق ومتعلقاته عند ابن سينا، وبالرغم من اختلاف المنهج وبعض الآراء بينهم إلا أن الكل متفق على شحذ همم الناس إلى الارتقاء من عشق الصور إلى عشق المصوِّر، ومن عشق المخلوق إلى عشق الخالق عز وجل.

كلمات مفتاحية: إخوان الصفا، ابن سينا، العشق، العشق الإلهي.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد؛
فقد تعددت الموضوعات التي تناولها فلاسفة الإسلام في كتبهم، وإن نظرة فاحصة في مؤلفاتهم لتنبئ بقلة اهتمامهم بموضوع العشق، فقد كان شغلهم الشاغل البحث في الطبيعة وما وراء الطبيعة، ولم يكتب في العشق من فلاسفة المسلمين إلا قليل كان من أبرزهم: جماعة إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري وابن سينا المتوفى سنة 428هـ، إذ خصصوا رسائل عن ماهية العشق تدرجوا في حديثهم فيها من الكلام عن العشق المادي البشري وصولاً إلى العشق الإلهي، ومن هنا جاءت فكرة البحث بعقد مقارنة بين آرائهم ومناهجهم المبثوثة في رسالة تشابهت في عنوانها بينهم وهي (رسالة عن ماهية العشق)؛ لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهم في طرحهم لهذا الموضوع. وبغض النظر عن اختلاف العلماء المسلمين في حكمهم على إخوان الصفا وابن سينا فإنه يمكن القول إننا قد نتفق وقد نختلف فيما ذهبوا إليه في مسألة العشق، وبغض النظر عما أصابوا فيه أو أخطأوا إلا أننا نؤكد ما ذهبوا إليه من ضرورة رفع همم الناس للتعلق بالخالق وعدم الانشغال بالمخلوق.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة في تناول موضوع مهم تكاد تدور حوله الحياة بـأكملها؛ وهي العشق، فما من متحرك ولا ساكن ولا فعل ولا ترك الا ودافعه العشق للحركة أو السكون أو الفعل أو الترك، وقد جعل ابن تيمية القاعدة الأولى من قواعد المحبة قوله: "وأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، فهي أصل كل فعل ومبدؤه، حتى إن الإنسان يتعاطى بعض المكروهات لأجل المحبة، فمثلاً يشرب الدواء المر، لأجل محبة الصحة والعافية"، ولما ان خصص اخوان الصفا وابن سينا رسائل لهم في ماهية العشق كان ذلك دافعا لدراسة تلك الرسائل، وأهدف من خلال البحث الى معرفة الآراء الواردة في تلك الرسائل، من حيث أوجه الاتفاق والاختلاف بين أولئك الفلاسفة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الى بيان مفهوم العشق لغة واصطلاحا واقسامه ومضاره وفوائده وعلاجه، ثم بيان أبرز الآراء التي تناولها كل من اخوان الصفا وابن سينا في رسالتهم: (رسالة في العشق) بتوضيح أوجه الاتفاق والاختلاف بينهم.

إشكالية الدراسة:

تظهر إشكالية الدراسة من خلال الأسئلة الاتية:

1. ما مفهوم العشق لغة واصطلاحا؟
2. ما اقسام العشق وهل يصح اطلاقه على الله عاشقا ومعشوقا؟
3. ما فوائد العشق وما مضاره وما السبيل إلى علاجه؟
4. ما مفهوم العشق وأسبابه وأسباب تفاوت الناس فيه عند إخوان الصفا؟
5. ما مفهوم العشق وأسبابه وأسباب تفاوت الناس فيه عند ابن سينا ؟
6. ما علة العشق الإلهي عند اخوان الصفا وابن سينا؟ وما أهدافهم من حديثهم عن العشق؟
7. ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين إخوان الصفا وابن سينا في رسالتهم الموسومة بـ (رسالة في ماهية العشق)؟

الخطة:

قسمت هذا البحث الى ثلاثة مباحث؛ مبحث تمهيدي: فيه بيان مفهوم العشق وأقسامه وفوائده ومضاره وعلاجه، وتحته مطلبان: المطلب الأول: العشق لغة واصطلاحا، والمطلب الثاني: أقسام العشق وفوائده ومضاره وعلاجه، ثم المبحث الاول: وفيه بيان ماهية العشق ومتعلقاته عند إخوان الصفا، ثم المبحث الثاني: وفيه بيان ماهية العشق ومتعلقاته عند ابن سينا، ثم ختمت بخاتمة غنية بالنتائج التي أظهرت أوجه الاتفاق والاختلاف بين إخوان الصفا وابن سينا في رسالتهم في ماهية العشق. والله الموفق.

المبحث التمهيدي: مفهوم العشق وأقسامه وفوائده ومضاره وعلاجه

المطلب الأول: مفهوم العشق لغة واصطلاحا:

العِشْقُ لغة: فَرطُ الحُبِّ[1]، وقيل: هو عُجْب المحب بالمحبوب، يكون في عفاف الحب ودعارته[2]، عَشِقَهُ يَعْشَقُهُ عِشْقاً وعَشَقاً، وتَعَشَّقَهُ، وقيل التَّعَشُّق: تكلّف العشق... والعَشَقُ والعَسَقُ بالشين والسين المهملة: اللزوم للشيء لا يفارقه، ولذلك قيل لِلْكَلِف عاشق للزومه هواه... وسمي العاشق عاشقا لأنه يَذبُلُ من شدة الهوى كما تذبل العَشَقَةُ إذا قُطعت، والعَشَقَةُ: شجرة تخضر ثم تَدِقُّ وتصْفَرّ...[3].

وقد تناول العلماء مرتبة (العشق) بالكثير من التفصيل، فعرّفه بعض المتطبّبين كفيثاغورس بأنه: طمع يتولد في القلب، ويتحرك وينمى، ثم يتربى ويجتمع إليه مواد من الحرص، وكلما قوي زاد صاحبه في الاهتياج واللجاج، والتمادي في الطمع، والفكر في الأماني، والحرص على الطلب، حتى يؤديه ذلك إلى الغم المقلق، ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالته إلى السوداء، والتهاب الصفراء وانقلابها إليها، ومن طبع السوداء فساد الفكر، ومع فساد الفكر يكون زوال العقل، ورجاء ما لا يكون، وتمني ما لا يتم، حتى يؤدي ذلك إلى الجنون، فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه، وربما مات غماً، وربما نظر إلى معشوقه فمات فرحاً، وربما شهق شهقة فتختنق روحه ... وتراه إذا ذكر له من يهواه هرب دمه واستحال لونه[4].

أما العشق عند الفلاسفة [5] فمنهم من عدّه شغل من لا شغل له كما قال أفلاطون: "العشق حركة النفس الفارغة بغير فكرة"[6]، وقال أرسطو: "العشق: جهل عارض صادف قلبا فارغاً لا شغل له من تجارة وصناعة"[7]. أما سقراط فإنه عرّف العشق بأنه: "جنون، وهو ألوان كما أن الجنون ألوان"[8]. ونجد أرسطاطاليس يشير في تعريفه للعشق إلى فعل العشق بالعاشق من تغافل عن عيوب المعشوق، إذ قال: "العشق هو عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب"[9].

والعشق في مصطلح الإسلاميين هو: "اسم لما فضل عن المقدار المسمى حباً"[10]، وهو الحب المفرط الذي لا يقدر صاحبه على كتمه[11] ويخاف على صاحبه منه[12].

في العلاقة بين المحبة والعشق قيل: العشق هو آخر مرتبة المحبة، والمحبة هي أول درجة العشق[13]. وقيل: "المحبة اسم جامع لأقسام الحب والعشق، والفرق بينهما أن المحب لا يخلو إما أن يستعمل المحبة أو تستعمله، فإن استعملها وكان له فيها تكسب واختيار سمي (محبا) اصطلاحاً، وإن استعملته المحبة بحيث لا يكون له فيها اختيار ولا تكسب سمي (عشقا)؛ فالمحب مريد والعاشق مراد، وقيل: العشق بإزاء اللذات والمحبة بإزاء نفسها"[14].

فعلى هذا الرأي فإن العشق خارج عن الاختيار، وهناك رأي آخر يؤكد أن العشق يحصل بالاختيار؛ وذلك لأن أول أسباب العشق هو الاستحسان الناتج عن النظر أو السمع، فإذا لم يقارنه طمع في وصال المستَحْسَن بل اليأس في ذلك لم يحدث العشق، وكذلك إن اقترن به ذلك الطمع لكنه صرفه عن فكره ولم يشغل قلبه به، وكذلك إن أطال الفكر في محاسن المعشوق ولكن قارنه خوف ما _ديني أو دنيوي_ أكبر عنده من لذة وصاله، وكذلك إذا خاف من فوات محبوب هو أحب إليه وأنفع من ذلك المعشوق فقدم محبته على محبة ذلك المعشوق.. في كل تلك الحالات يندفع عنه العشق، أما إذا انتفى ذلك كله وغلبت محبة المعشوق عندها يتسبب في الوقوع في العشق[15].

وهذا السبب المادي لا بد فيه من كون المعشوق جسداً ليتم الجماع بين الأجساد، أما في عشق المعاني كعشق الجمال والحق فيتجرد العشق فيه من السبب البدني المذكور.

والوصال هو مبتغى العاشق، ذلك أن العاشق صريع عشقه مادام منقطعا عن محبوبه، فإذا ما نفخت فيه روح الوصال، وانبعثت فيه الحياة من جديد اهتز وربا[16]، فكان الوصال بالمعشوق علاجاً لمرض العشق[17].

ووصال العشاق يكون مادياً إذا كان عشقا بين أجساد، ويكون الوصال معنوياً إذا كان العشق للمعاني وللحق المطلق.

المطلب الثاني: أقسام العشق وفوائده ومضاره وعلاجه

تجدر الإشارة هنا إلى أن العشق المذموم الذي يطلب التداوي منه هو ما كان بين الرجل والمرأة الأجنبيين، أما بين الزوجين فإن عشق الرجل لزوجته مطلوب وهو عبادة؛ لأن العشق بين الرجل والمرأة يستدعي الجماع، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**لم ير للمتحابين مثل النكاح**))[18] وقال صلى الله عليه وسلم: ((**إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه، فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه**))[19]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((**حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**)) [20]

فالله تعالى حبب إلى النبي صلى الله عليه وسلم النساء، فمن أحب زوجته فإن حبه لها عبادة لأنه سبيل إلى العفة والإحصان، وقد دعانا النبي صلى الله عليه وسلم إلى النكاح لما فيه من إحصان قال صلى الله عليه وسلم ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء))[21] وقال صلى الله عليه وسلم رداً على الثلاثة الذين أبدوا تنسكاً وانقطاعاً لله تعالى: ((أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[22].

وقد قسم ابن قيم الجوزية العشق إلى ثلاثة أقسام:

الأول: عشق هو قربة وطاعة، وهو عشق الرجل لزوجته وجاريته وهو عشق نافع، فهو أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح وأكف للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله، ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله تعالى وعند الناس.

الثاني: عشق هو مقت من الله وبعد من رحمته، وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المردان وهم الغلمان.

الثالث: هو العشق المباح، وهو الواقع من غير قصد، كعشق من وصفت له امرأة جميلة أو رآها فجأة من غير قصد فتعلق قلبه بها ولم يحدث له ذلك العشق معصية، فهذا لا يملك ولا يعاقب،

والأنفع له مدافعته والاشتغال عنه بما هو أنفع له منه، ويجب عليه الكتم والعفة والصبر فيه على البلوى، فيعوضه الله تعالى على صبره وعفته وتركه طاعة هواه وإيثار مرضاة الله تعالى[23].وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((من عشق فعفّ فكتم فمات فهو شهيد))[24].

فوائد العشق ومضاره:

تكلم العلماء في فوائد العشق ومضاره، فمن جملة منافعه: رقة الطبع، وترويح النفس، وزوال ثقلها، ورياضتها، وحملها على مكارم الأخلاق، كالشجاعة والكرم والمروءة... وغير ذلك[25].

ومن جملة مضار العشق: الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الخالق عز وجل وذكره، والاشتغال عن مصالح دينه ودنياه، وأن العشق ربما أفسد الحواس إفساداً معنويا أو صوريا، ويؤدي إلى المرض وقد يؤدي إلى الجنون... وغير ذلك[26]، إذ إنّ من أعراضه "الضعف والهزل والمرض والذهول حتى الجنون"[27].وللعشق أعراض كثيرة[28].

والناس في العشق قسمان: قسم مدحوا العشق وتمنوه ورغّبوا فيه، وقسم ذم العشق ونفّر منه[29]، وهناك من حاول التوفيق بين الفريقين كابن قيم الجوزية إذ قال: "العشق لا يُحمد مطلقا ولا يُذم مطلقا، وإنما يُحمد ويُذَم باعتبار متعلَّقه، فإن الإرادة تابعة لمرادها، والحب تابع للمحبوب، فمتى كان المحبوب مما يُحب لذاته أو وسيلة توصِّله إلى ما يُحَبّ لذاته، لم تُذَم المبالغة في محبته بل تحمد"[30].

علاج العشق:

لأن الأطباء عدّوا العشق من الأمراض فقد قيل: "وإن كان الأمر يجري على ما ذكر، فإن زوال المكروه عمن هذه حاله لا سبيل إليه بتدبير الآدميين، ولا شفاء له إلا بلطف يقع له من رب العالمين"[31]

وقد أشار بعض العلماء إلى أن العلاج الأمثل لداء العشق يكون بتوحيد المحبوب وهو الله تعالى، فالله تعالى لا يحب الشرك في العمل ولا في المحبة، قال ابن قيم الجوزية ــ: "ودواء هذا الداء القّتال: أن يعرف أن ما ابتلي به من هذا الداء المضاد للتوحيد، إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله تعالى فعليه أن يعرف توحيد ربه وسنته أولاً، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة فيه، ويكثر اللجأ والتضرع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه، وأن يرجع بقلبه إليه، وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله"[32].

واستدل ابن قيم الجوزية على رأيه بدليلين أحدهما نقلي والآخر عقلي، أما النقلي فقال ابن قيم: "وليس له [أي للعشق] دواء أنفع من الإخلاص لله وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف:24] وأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه، فإن القلب إذا أخلص، وأخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور، فإنه إنما يتمكن من قلب فارغ، كما قال:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصـادف قلبا خاليـاً فتمكنا"[33]

أما الدليل العقلي فهو أن العشق مفاسده أرجح من مصالحه، وترجيح ما فيه المصلحة وهو ترك العشق على ما فيه المفسدة وهو البقاء عليه مخالف للعقل والشرع، قال ابن قيم الجوزية: "وليعلم العاقل أن العقل والشرع يوجبان تحصيل المصالح وتكميلها وإعدام المفاسد وتقليلها، فإذا عرض للعاقل أمر يرى فيه مصلحة ومفسدة، وجب عليه أمران: أمر علمي، وأمر عملي، فالعلمي معرفة الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة، فإذا تبين له الرجحان وجب عليه إيثار الأصلح له"[34].

ومهما يكن فإن العشق مرتبة عالية من مراتب المحبة، منه ما يكون في عفاف الحب ومنه ما يكون في دعارته، ومنه ما تصحبه الشهوة ومنه ما لا تصاحبه الشهوة؛ وإذا كان الأمر كذلك فهل يصح إطلاق العشق على الله تعالى عاشقا ومعشوقا؟

في إطلاق العشق على الله عز وجل:

اختلفت الآراء في ذلك فالجمهور منع ذلك وتسامح البعض، قال لسان الدين بن الخطيب: "ومنعوا من إطلاق العشق على الله، وهو مما ارتفع فيه اللبس، وتسامح فيه كثير"[35].

فالفلاسفة لم يروا مانعا من إطلاق العشق على الذات الإلهية بمعنى أن العشق توقان دائم نحو الخير والجمال، والذات الإلهية مستوفية لجميع الخيرية والجمالية والكمالية، فلها أكمل العشق وأوفاه، فالله تعالى هو المعشوق الأول[36].

وقد بين ابن تيمية ــــ تنازع الناس في إطلاق لفظ العشق على الله تعالى عاشقاً ومعشوقاً، وذكر أدلة الفريقين، ومال إلى رأي منكري إطلاق هذا اللفظ[37].

ونقل ابن قيم الجوزية في كتابه (روضة المحبين) اختلاف الناس في إطلاق اسم العشق في حق الله تعالى فقال: "قد اختلف الناس هل يطلق هذا الاسم في حق الله تعالى؟ فقالت طائفة من الصوفية: لا بأس بإطلاقه، وذكروا فيه أثراً لا يثبت، وفيه: فإذا فعل ذلك عشقني وعشقته، وقال جمهور الناس: لا يطلق ذلك في حقه سبحانه وتعالى، فلا يقال: إنه يعشق، ولا يقال: عشقه عبده"[38].

أما أسباب المنع لذلك الإطلاق فقد تعددت على أقوال، قال ابن قيم الجوزية: "ثم اختلفوا في سبب المنع على ثلاثة أقوال: أحدها: عدم التوقيف بخلاف المحبة، الثاني: أن العشق إفراط المحبة، ولا يمكن ذلك في حق الرب تعالى، فإن الله لا يوصف بالإفراط في الشيء، ولا يبلغ عبده ما يستحقه من حبه فضلا أن يقال أفرط في حبه، الثالث: أنه مأخوذ من التغير كما يقال للشجرة المذكورة عاشقة، ولا يطلق ذلك على الله سبحانه وتعالى"[39].

وتفصيل مذهب الصوفية في ذلك أن قد منعه أكثرهم، فلا يوصف الله تعالى بأنه عاشق؛ إذ لا وجود لحد يتجاوز في صفاته ولا يوصف بأنه معشوق؛ إذ مهما بلغ بالعبد من الحب الشديد لربه فإنه لن يتجاوز الحد في ذلك، قال القشيري ــــ: "...العشق: مجاوزة الحد في المحبة، والحق سبحانه لا يوصف بأنه يجاوز الحد، فلا يوصف بالعشق، ولو جمع محابّ الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر الحق سبحانه، فلا يقال: إن عبداً جاوز الحد في محبة الله، فلا يوصف الحق سبحانه بأنه يعشق، ولا العبد في صفته سبحانه بأن يعشق، فنفى العشق، ولا سبيل له إلى وصف الحق سبحانه لا من الحق للعبد، ولا من العبد للحق سبحانه"[40].

وذهب فريق آخر من الصوفية إلى القول بجواز إطلاق العشق على الله تعالى وعدم جواز إطلاقه من الله تعالى، قال الهجويري ــــ:" أما العشق فللمشايخ فيه كلام كثير، وفريق من هذه الطائفة رأوا أنه يجوز على الحق تعالى ولا يجوز منه تعالى، وقالوا: إن العشق صفة المنع من المحبوب، والعبد ممنوع عن الحق، والحق تعالى ليس ممنوعا، فعشق العبد له جائز ولا يجوز منه للعبد"[41].

ونقل الهجويري كذلك وجهة نظر من لم يجوّز هذا الإطلاق_مع اتفاق الفريقين على أن الله تعالى لا يطلق العشق منه_ وإنما الخلاف في جواز إطلاق العشق من العبد على ربه، قال الهجويري: " وقال فريق أيضا إن العشق لا يجوز للعبد على الحق تعالى؛ لأن العشق تجاوز للحد والله تعالى ليس محدودا، وقال المتأخرون أيضا: إن العشق لايصح في الدارين إلا على طلب إدراك الذات، وذات الحق تعالى ليست مدركة والمحبة تصح مع الصفة فينبغي أن لا يصح العشق عليه، وقالوا أيضا: إن العشق لا يتأتى إلا بالمعاينة، والمحبة تجوز بالسمع، ولما كان العشق نظريا فإنه لايجوز على الحق لأن أحدا لا يراه في الدنيا، ولما كانت هذه [أي المحبة] خبرية فقد ادعاها كل واحد؛ لأن الكل سواء في الخطاب، فالحق تعالى ليس مدركا ولا محسوسا بذاته حتى يصح للخلق العشق معه، ولما كان في الصفات والأفعال محسنا ومكرما فإن المحبة تصح للأولياء.... وقالوا أيضا إن العشق ليس له ضد وليس للحق تعالى ضد ليجوز عليه ذلك."[42].

ومن الجدير بالذكر أن العشق يقتضي الجسمية في الغالب لأنه كثيرا ما يستخدم في العلاقة الجسدية، وله أعراض تظهر على جسد العاشق وهذا من أسباب عدم جواز إطلاق العشق على الله

تعالى، بعكس الحب، فالعشق إفراط المحبة وعليه فإن الحب أعم والعشق أخص، فكل عشق محبة وليس كل محبة عشقاً، فالمحبة تستخدم في المعنوي والمادي، أما من جوّز إطلاق عشق العبد لربه فيقصد به العشق المعنوي المعبر عن شدة المحبة دون العشق المادي.

ومهما يكن فإن أسباب منع إطلاق اسم العشق على الله تعالى تنطبق في حق الله تجاه عباده، إذ لا توقيف فيها ولا يمكن في حق الله تعالى أن يوصف بالإفراط في الشيء أو أن يبلغ عبده ما يستحقه من حبه فضلا عن إفراط حبه، والعشق فيه تغير وصفات الله تعالى قديمة أزلية أبدية لا تغير فيها، والحق تعالى لا يجاوز الحد في الحب؛ لأنه لا حدود تقف في صفاته عز وجل، وهذا كله حق فلا خلاف بين العلماء على أن الحق تبارك وتعالى لا يقال إنه عاشق، أما أن يوصف العبد بأنه عاشق لربه، فهنا كان الخلاف، إذ منعه البعض؛ لأنه مهما أحب العبد ربه فإنه لا يتجاوز الحد الذي ينبغي له، أما من جوّز إطلاق اسم العاشق في حق العبد تجاه ربه، فلم يقصد به تجاوز الحد بل قصد تأكيد المحبة واستيعابها للعبد بحيث ينشغل بحب ربه بالكلية، فالعشق يكون في هذه الحالة دلالة على فناء العاشق في عشقه لمحبوبه، فيفنى عن نفسه وينشغل بمولاه عن كل ما سواه. فسبب المنع والتجويز راجع الى كيفية تعريف العشق. والله تعالى أعلم.

المبحث الأول: ماهية العشق ومتعلقاته عند إخوان الصفا

سبب التأليف:

لم يذكر إخوان الصفا سبب تأليف رسالتهم في ماهية العشق؛ فيبدو ان الدافع للتأليف كان دافعا شخصيا، يحقق لذة شخصية في بحث مسألة دقيقة تمس حياة الإنسان، وتتعمق في مكنوناته.

وصف الرسالة:

كتب إخوان الصفا مجموعة من الرسائل تعالج مسائل متعددة، وخصصوا للحب الرسالة السابعة والثلاثين، وهي السادسة من مجموعة الرسائل الخاصة بالنفسانيات العقليات، وهي رسالة باسم: (في ماهية العشق)، وهي صغيرة في حجمها _إذ لم تتجاوز الثمان عشر صفحة_ وقد أورد إخوان الصفا في هذه الرسالة طرفاً مما قال الحكماء والفلاسفة في ماهية العشق، وأنواعه، وكيفية نشوئه ومبدئه، وعلله الموجبة لكونه، والأسباب الداعية إليه' والغرض الأقصى منه، وقد تناولوا العشق بشيء من الإسهاب لأهميته ودوامه ما دامت الخليقة موجودة، قالوا: "إذ كان هذا الأمر موجوداً في العالم، مركوزاً في طباع النفوس، دائما لا يعدم ألبتة، مادامت الخليقة موجودة"[(43)].

وقد ذكروا مواقف الحكماء من العشق قالوا: "واعلم يا أخي أن من الحكماء من قد ذكر العشق وذمه، وذكر مساوئ أهله وقبح أسبابه، وزعم أنه رذيلة، ومنهم من قال إن العشق فضيلة نفسانية، ومدحه، وذكر محاسن أهله، وزيَّن أسبابه، ومنهم من لم يقف على أسراره وعلله وأسبابه بحقائقها ودقَّةِ معانيها، فزعم أنه مرض نفساني، ومنهم من قال إنه جنون إلهي، ومنهم من زعم أنه هِمّةُ نفس فارغة، ومنهم من زعم أنه فعل البطّالين الفارغين الهمم الذين لا شغل لهم"[(44)].

ومما نقل عن الأطباء القدامى بأن: "العشق مرض وسواسي شبيه بالمالوخيا، يجعله المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل، وقد يكون معه شهوة جماع، وقد لا تكون، وسببه النفساني: الاستحسان والفكر، وسببه البدني: ارتفاع بخار رديء إلى الدماغ عن منيّ محتقن، ولذلك أكثر ما يعتري العزّاب، وكثرة الجماع تزيله بسرعة"[(45)]

وسبب زعم البعض بأن العشق مرض نفساني أو جنون إلهي يعود إلى ما يرى من حال العاشق من مرض بدني والعجز عن مداواته إلا بالدعاء إلى الله للخلاص من هذه المحنة، قال إخوان الصفا: "...وذلك أن الذين زعموا أن العشق هو مرض نفساني، أو قالوا إنه جنون إلهي، فإنما قالوا ذلك من أجل أنهم رأوا ما يعرض للعشاق من سهر الليل، ونحول الجسم وغؤور العيون، وتواتر النبض والأنفاس الصُّعداء، مثلَ ما يَعرِض للمرضى، فظنوا أنه مرض نفساني، وأما الذين زعموا أنه جنون إلهي فإنما قالوه من أجل أنهم لم يجدوا لهم دواء يعالجونهم به، ولا شربة يسقونها

إياهم فيبرؤون مما هم فيه من المحنة والبلوى إلا الدعاء لله بالصلاة والصدقة والقرابين في الهياكل ورقى الكهنة وما شاكل..."[46].

وفي حين عد البعض العشق مرضا وسواسيا شبيها بالمالوخيا، نجد البعض كإخوان الصفا علّلوا عشق الشخص للآخر دون سائر الأشخاص باتفاق فلكي بينهما في أصل مولدهما، أما تغير العشق بعد ثباته زمانا طويلا فهو نتيجة تغير أشكال الفلك[47]. "وهذه منهم دعاوى لا برهان عليها"[48].

وقد ردّ إخوان الصفا على من ذمّ العشق ورجحوا تعريفا واحداً مما نقل عن الحكماء في تعريف العشق، وهو بأنه: "شدة الشوق إلى الاتحاد"[49]. ولما كان الاتحاد هوى نفسانيا وتأثيراً روحانيا، فقد ذكر إخوان الصفا أنواع النفوس وأنواع معشوقاتها؛ وهي ثلاثة[50]:

1- النفس النباتية الشهوانية، ويكون عشقها نحو المأكولات والمشروبات والمناكح.
2- النفس الغضبية الحيوانية، ويكون عشقها نحو القهر والغلبة وحب الرياسة.
3- النفس الناطقة، ويكون عشقها نحو المعارف واكتساب الفضائل.

وبيّنوا أنه ليس أحد من الناس يخلو من نوع من هذه الأنواع أو يكون آخذاً بنصيب من كل واحد منها قلّ أو كثر، وربطوا ذلك بتأثير الكواكب[51].

وذكروا أن مبدأ العشق بين البشر نظرة أو التفاتة نحو شخص ما، ثم يزيد بازدياد النظرات وبالقرب المتزايد إلى أن يصل إلى الالتزام بجميع الجوارح أكثر ما يمكن، وفصلوا الكلام في كيفية اتحاد جسَديْ العاشقين لكون العشق شدة الشوق إلى الاتحاد، فبعد اتحاد الروحين تطلب الأجساد الاتحاد إلى أقصى درجة ممكنة، وهي حالة الجماع بين العاشقين[52].

أما عن علة محبة شخص لشخص بعينه دون سائر الأشخاص فيرجع عند إخوان الصفا إلى اتفاق مشاكلة الأشخاص الفلكية في أصل مولدها، أما تغيّر العشق أحيانا بعد ثباته زماناً طويلا فيرجع أيضا إلى تغير أشكال الفلك وحركاتها[53].

ورفض إخوان الصفا ظن كثير من الناس أن العشق لا يكون إلا للأشياء الحسنة، قالوا: "ولكن العلة في ذلك هي الاتفاقات التي بين العاشق والمعشوق، وهي كثيرة لا يحصي عددها إلا الله جل ثناؤه"[54].

والاتفاقات تكون بحسب المناسبات التي بين أجزاء المركبات، وذكروا _على سبيل المثال لا الحصر_ من تلك المناسبات ما يكون بين كل حاسة ومحسوساتها، إذ إن سائر الحواس كل واحدة منها لا تشتاق إلا إلى محسوساتها، ولا تستحسن ولا تستلذ إلا ما كان منها، ولما كانت تراكيب أمزجة الحواس والمحسوسات كثيرة الفنون والتغير، صارت القوى الحساسة في إحساسها لمحسوساتها متفننة متغيرة كذلك[55]، ومن هنا تعددت المعشوقات.

وأشار إخوان الصفا إلى ارتباط الموجودات ببعضها ارتباطاً واحداً لكونها خلقت مشتاقة لعلاتها محبة لمعلولاتها، قالوا: "واعلم يا أخي أن الحكمة الإلهية والعناية الربانية قد ربطت أطراف الموجودات بعضها ببعض رباطاً واحداً، ونظمتها نظاماً واحداً، وذلك أن الموجودات لما كان بعضها عللاً وبعضها معلولات، ومنها أوائل ومنها ثوانٍ، جعلت في جبلة المعلولات نزوعاً نحو علاتها، واشتياقاً إليها، وجعلت أيضا في جبلة علاتها رأفة ورحمة وتحنّناً على معلولاتها، كما يوجد ذلك في الآباء والأمهات على الأولاد، ومن الكبار على الصغار، والأقوياء على الضعفاء، لشدة حاجة الضعفاء إلى معاونة الأقوياء، والصغار إلى الكبار..."[56].

وإذا استغنى الأطفال والصبيان عن تربية الآباء والأمهات فهم محتاجون بعد ذلك إلى تعليم الأساتذة لهم العلوم والصنائع ليبلغوا بهم إلى التمام والكمال، ومحبة النساء للرجال وعشقها هو من طباع أكثر الحيوانات، وجعلت فيها ليكون منها النتاج بغاية بقاء النسل وحفظ الصورة في الهيولى بالجنس والنوع[57].

وقد خصص إخوان الصفا فصلا من رسالة العشق في بيان أنواع المحبوبات والحكمة فيها، فذكروا أن المحبوبات كثيرة لا يحصي عددها إلا الله، وأشاروا إلى طرف منها ليكون دليلا على

الباقية، فمن أنواع المحبوبات: محبة الحيوانات الازدواج والنكاح لما فيه من بقاء النسل، ومنها محبة الأمهات والآباء للأولاد وإشفاقهم عليهم كأنها محبة مجبولة في طباعهم، ومنها محبة الرؤساء للرياسات ومحبة الصناع في إظهار صنائعهم، ومحبة التجار لتجاراتهم ومحبة العلماء والحكماء لاستخراج العلوم لما فيه من إحياء النفوس وإصلاح الأخلاق وصلاح الدين والدنيا جميعا، ومحبة البر والإحسان لما فيه من الحث على مكارم الأخلاق، كل ذلك كأنها محبوبات مجبولة في طباع البشر، مركوزة في نفوسهم لشدة حاجتهم إليها، ومنها كذلك محبة أبناء الجنس وما يسمى العشق وما يذكر العشاق من الأخلاق الحميدة وما يذمونه من الأخلاق المذمومة[58]، فالعشق هو المحرك لكل تلك الفضائل.

قال إخوان الصفا: "قالوا: لو لم يكن العشق موجوداً في الخليقة، لخفيت تلك الفضائل كلها، ولم تظهر، ولم تعرف تلك الرذائل أيضا! فقد بان وتبين إذاً بما ذكرنا أن المحبة أوالعشق فضيلة ظهرت في الخليقة، وحكمة جليلة، وخَصلة نفيسة عجيبة، ذلك من فضل الله على خلقه، وعنايته بمصالحهم، ودلالة لهم عليه، وترغيبا لهم فيما أمر به من المزيد"[59].

ولأن مراتب النفوس متعددة فإن معشوقاتها تتناسب مع كل مرتبة، فالنفس الشهوانية لا يليق بها محبة الرياسة والقهر والغلبة، والنفس الحيوانية لا يليق بها محبة العلوم واكتساب الفضائل، والنفس الملكية الناطقة لا يليق بها محبة الأجساد والكون مع الأجسام اللحمية والدموية، بل اللائق بها محبة فراق الأجساد، والسيحان في سَعة فضاء الأفلاك.. لذا فإن كل نفس تحب وتعشق وتشتاق لأبناء جنسها وما شاكلها من المحبوبات والمعشوقات، فأنفس الصبيان والناقصين من الناس لا يحبون إلا اللعب والتماثيل المصورة والمزينة المشاكلة لمرتبة نفوسهم، فإذا عقلوا وتعلموا ارتفعت هممهم وانشغلت نفوسهم بمرتبة أعلى وهي الصورة من الأشكال والمحاسن، والزينة الموجودة في الأشكال والأجسام اللحمية، من الحيوان والناس، وهي المشتهاة عند أكثر العقلاء، فإذا ارتاضت نفوسهم في العلوم الإلهية ارتقت نفوسهم عن هذه الصور المادية إلى ما هو أشرف منها وهو الصورة للنفوس ذوات الحسن والكمال والجمال التي تراها النفوس الناطقة الناجية في عالم الأرواح[60].

ثم بيّن إخوان الصفا أن سبب تعلق أكثر الناس بالصور المادية دون المعنوية هو قصر هممهم عن تصورها وقلة معرفتهم بها، ورضاهم بالمراتب الدنية دون العلية من مراتب النفوس، قالوا: "...ثم اعلم أنه لما قَصُرت أفهام كثير من الناس عن تصورها [أي تصور الصور المعنوية المعشوقة]، وقلّت معرفتهم بها، رضوا بهذه الصورة [المادية] والأشباح الجسمية الجسدانية المؤلفة من اللحم والدم، والصديد، واطمأنوا إليها، وسكنوا إليها، وتمنّوا الخلود بها لنقص نفوسهم، كما ذكر الله تعالى: {...رَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} [يونس:7] وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى"[61].

وقد جبلت النفوس بمراتبها الثلاث على حب الخلود في أتم حالاتها وأكمل غاياتها، قال إخوان الصفا: "ثم اعلم يا أخي أنه مقرر في طباع الموجودات وجبلة النفوس: محبة البقاء والدوام السرمدي على أتمّ الحالات وأكمل الغايات"[62].

ثم ذكر إخوان الصفا العلاقة بين الحب والاشتياق ليربطوا موضوع العشق بالحب الإلهي رفعا للهمم وإيقاظا للنفوس من غفلتها لتدرك أن المستحق للمحبة حقيقة هو الله عز وجل، قالوا في علاقة الحب بالاشتياق: "ثم اعلم أن كل نفس، إذا أحبت شيئاً، اشتاقت وحنّت نحوه، وطلبته وتوجهت نحوه حيث كان، ولم تلتفت إلى شيء سواه، ولم تُعرِّج عليه كما قال الشاعر:

أحب حبيباً واحداً لست أبغي مدى الدهر عنه ما حييتُ بديلا

فإن ظفرت كفي به فهو بُغيتي وإن فات ما أبغي سواه خليلا"[63]

وإذا كان الاشتياق يطلب وصال المحبوب، فإنه إذا ما تمّ الوصال فلا بد من فراق المحبوب أي كان؛ سواء بموت المحبوب أم بهجره أم بالملل منه إلى غير ذلك فيخمد الاشتياق، قال إخوان

الصفا: "ثم اعلم أن كل محب لشيء من الأشياء، مشتاق إليه، هائم به، وأنه متى وصل إليه ونال ما يهواه منه، وبلغ حاجته من الاستمتاع به والتلذذ بقربه، فإنه ولا بد يوماً من أن يفارقه، أو يملّه، أو يتغير عليه، وتذهب تلك الحلاوة، وتتلاشى تلك البشاشة، ويخمد لهب ذلك الاشتياق والهيجان"[(64)].

ثم بعد كل ما قاله إخوان الصفا عن العشق نجد الموعظة تخرج من أفواههم للدعوة إلى محبة الله، والانشغال به عمن سواه، وترك جميع المعشوقات التي تشغل أكثر الناس، والارتقاء إلى مرتبة عشق المستحق للمحبة على الحقيقة وهو الله عز وجل، فبيّنوا أن كل محب مشتاق إلى محبوبه حتى يبلغ حاجته منه ثم يفارقه، إلا المحبون لله تعالى فإنهم لا يملون محبوبهم ولا يفتر شوقهم إليه.

قال إخوان الصفا متممين الكلام السابق: "إلا المحبين لله تعالى من المؤمنين والمشتاقين إليه من عباده الصالحين، فإن لهم كل يوم من محبوبهم قربةً ومزيداً أبد الآبدين، بلا نهاية ولا غاية، إلى المحبين لسواه عز وجل أشار بقوله: {...كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً} [النور:39]، ثم عطف نحو محبيه فذكر حالهم وكنى عن ذكرهم وإلى نحو ذكرهم فقال تعالى: {وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ} [النور:39] يعني عند المحب، وكما روي في الخبر عن موسى عليه السلام أنه نادى ربه فقال: (يا رب أين أجدك؟) فقال: (عند المنكسرة قلوبهم من أجلي)[(65)]، وقال عليه السلام: **((اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))**[(66)]"[(67)].

وإذا كان المحب ينشد رؤية محبوبه لتتم له السعادة وتكمل له اللذة، فإن محبي الله تعالى يكرمهم الله تعالى بهذه اللذة إذ إنّه وعدهم برؤيته في قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}[(68)]، وهو المذهب الصحيح على خلاف مذهب من أنكر الرؤية[(69)].

وأشار إخوان الصفا إلى حصول هذه اللذة لمن ارتقى بنفسه وترك التعلق بالمعشوقات جميعها إلا المعشوق الأول وهو الحق تبارك وتعالى، ولكن إخوان الصفا مع إثباتهم رؤية محبي الله تعالى لمحبوبهم عز وجل إلا أنهم نزهوا الله تعالى عن أن تكون رؤيته رؤية مادية، قالوا: "ثم اعلم أن رؤية أولياء الله تعالى، جل اسمه، ليس كرؤية الأشخاص، والأشباح، والصور، والأجناس، والأنواع، والجواهر، والأعراض، والصفات، والموصوفات في الأماكن والمحاذَيات، ولكن بنوع أشرف منها وأعلى، وفوق كل وصف جسماني، ونعت جِرْماني، وهي رؤية نور بنور لنور في نور من نور، كما قال الله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ} [النور:35] أي لا صورية ولا هَيُولانية"[(70)].

ثم انتقل إخوان الصفا إلى التركيز على مقصدهم من ذكر العشق وهو العشق الإلهي، وذلك بالدعوة إلى التيقظ من غفلة التعلق بالجسمانيات المحسوسة إلى التعلق بالنفسانيات المعقولة، فقد خلق الله تعالى فينا العشق المادي لتنبيهنا إلى العشق المعنوي الذي يرتقي بنا إلى عشق الصانع الحكيم عز وجل، قالوا: "ثم اعلم أن الغرض الأقصى من وجود العشق في جبلة النفوس ومحبتها الأجساد واستحسانها لها ولزينة الأبدان، واشتياقها إلى المعشوقات المفنّنة، كل ذلك إنما هو تنبيه لها من نوم الغفلة ورقدة الجهالة، ورياضةٌ لها وتعريج لها وترقية من الأمور الجسمانية المحسوسة إلى الأمور النفسانية المعقولة، ومن الرتبة الجِرمانية إلى المحاسن الروحانية، ودلالة على معرفة جوهرها، وشرف عنصرها، ومحاسن عالمها، وصلاح معادها"[(71)].

ذلك أن جميع المحاسن والمشتهيات المرغوب فيها ما هي إلا نقوش ورسوم صورتها النفس الكلية في الهيولى الأولى وزيّنت بها ظواهر الأجرام وسطوح الأجسام، وذلك كيما إذا نظرت إليها النفوس الجزئية حنّت إليها وقصدت لطلبها بالنظر إليها والتفكر فيها، وكل ذلك كيما تتصور تلك الرسوم والنقوش في ذاتها وتنطبع في جوهرها، حتى إذا غابت تلك الأشخاص الجرمانية عن مشاهدة الحواس لها، بقيت تلك الرسوم المعشوقة مصوّرةً فيها أعين النفوس الجزئية صورة روحانية صافية، باقية معها معشوقاتها، متحدة بها، فلا تخاف فِراقها ولا فواتها أبداً[(72)].

واستدل إخوان الصفا على صحة ما ذهبوا إليه من كون المعشوق بالحقيقة هو الرسوم والصور التي كان يراها العاشق في معشوقه والتي تنطبع في نفس العاشق فإذا ما غاب معشوقه

ظلت الصورة المعشوقة باقية في النفس العاشقة، استدلوا على ذلك بحالة تُرى في الواقع وهي أن من عشق يوماً من أيام عمره شخصاً من الأشخاص ثم تسلّى عنه أو فقده، وبعد مدة من الزمان وجده وقد تغير عما كان عليه من الحسن والجمال الباديين على ظاهر جسمه فإن العاشق متى رجع عند ذلك، فنظر إلى تلك الرسوم التي هي باقية في نفسه منذ العهد الماضي، وجدها لم تتغير، فتشاهد النفس في ذاتها _حينئذ_ من تلك المحاسن والصور والرسوم ما كانت من قبل تراها بلا تغير وتجد في جوهرها ما كانت تطلبه خارجا عنها[73].

قال إخوان الصفا: "...فعند ذلك تبين له وعلم أن المعشوق والمَحبوب بالحقيقة إنما هي تلك الرسوم والصور التي كان يراها من ذلك الشخص وهو اليوم يراها منقوشة في نفسه، مرسومة في جوهره، مصورة في ذاته باقية لم تتغير، فإذا فكّر العاقل اللبيب فيما وصفناه، انتبهت نفسه من نوم غفلتها، واستيقظت من رقدة جهالتها، واستقلت بذاتها، وفازت بجوهرها، واستغنت عن غيرها"[74]، وعندها تستريح نفس العاشق من عناء العشق، وتتخلص من السقام الملازم لعاشقي الأجرام، ثم إن من ابتلي بعشق شخص ما، ومرت عليه محن العشاق ولم ينتبه من غفلته فيتسلى ويفيق أو أنه نسي معشوقه الأول وابتلي بعشق ثان لشخص ثان، فإن نفسه غارقة في عمائها وسكرى في جهالتها[75]، إذ الواجب عليه أن يتيقظ ويوجه عشقه للمستحق حقيقة له وهو الله تبارك وتعالى.

وقد قسم إخوان الصفا الناس في رؤية الصنعة الحسنة المحكمة إلى قسمين: قسم يتعلق بالصنعة ذاتها دون التشوف إلى صانعها، وهم العوام، وقسم يتعلق بالصانع الحكيم ويجتهد بالتشبه به، وهم الخواص.

قال إخوان الصفا: "ثم اعلم أن في الناس خواصاً وعواماً، فالعوام من الناس هم الذين إذا رأوا مصنوعاً حسنا، أو شخصا مزينا، تشوّفت نفوسهم إلى النظر إليه، والقرب منه، والتأمل له. وأما الخواص فهم الحكماء الذين إذا رأوا صنعة محكمة، أو شخصا مزينا، تشوّفت نفوسهم إلى صانعها الحكيم ومبدئها العليم، ومصوِّرها الرحيم، وتعلقت به، وارتاحت إليه واجتهدوا في التشبه به في صنائعهم، والاقتداء به في أفعالهم، قولاً وفعلاً، وعلماً وعملاً"[76].

وفرق كبير بين النفوس قصيرة الهمم الواقفة عند زينة الحياة الدنيا، وبين النفوس عالية الهمم المتشوفة إلى الحياة الآخرة، قال إخوان الصفا: "ثم اعلم أن النفوس الناقصة تكون قصيرة الهمم، لا تحب إلا زينة الحياة الدنيا، ولا تتمنى إلا الخلود فيها؛ لأنها لا تعرف غيرها، ولا تتصور سواها، أما النفس الشريفة المرتاضة فهي تأنف من الرغبة في الدنيا، بل تزهد فيها، وتريد الآخرة وترغب فيها، وتتمنى اللحوق بأبناء جنسها وأشكالها من الملائكة، وتشتاق إلى الترقي إلى ملكوت السماء، والسيحان في سعة فضاء الأفلاك، ولكن لا يمكن إلا بعد فراق الجسد على شرائط محدودة"[77].

ويرى إخوان الصفا أن نفوس الحكماء تجتهد للتشبه بالنفوس الكلية التي هي بدورها تتشبه بباريها عز وجل، قالوا: "واعلم أن نفوس الحكماء تجتهد في أفعالها، ومعارفها، وأخلاقها، في التشبه بالنفس الكلية الفلكية، وتتمنى اللحوق بها، والنفس الكلية أيضا كذلك، فإنها تتشبه بالباري في إدارتها الأفلاك، وتحريكها الكواكب، وتكوينها الكائنات، كل ذلك طاعة لباريها، وتعبداً له، واشتياقاً إليه"[78].

ونقل إخوان الصفا ما اشتهر عن الحكماء من القول بأن حركة الأفلاك والكواكب هي حركة شوقية بقصد البقاء على أتم الحالات إذ إنّ الله تعالى هو المعشوق الأول. قالوا: "ومن أجل هذا قالت الحكماء: إن الله هو المعشوق الأول، والفلك إنما يدور شوقا إليه، ومحبة للبقاء والدوام المديد على أتم الحالات، وأكمل الغايات، وأفضل النهايات"[79].

وبذلك فقد خلص إخوان الصفا في رسالتهم في ماهية العشق إلى أن الله تعالى هو المعشوق الأول، وأن الموجودات جميعا تشتاق إليه وتقصده وحده؛ لأنه موجودها ومكملها، وهو الموجود القائم بذاته القديم الباقي، وهو الكمال المطلق الذي يستمد منه الكون الإيجاد والإمداد معاً، قالوا: "فقد تبين بما ذكرنا أن الله هو المعشوق الأول، وأن كل الموجودات إليه تشتاق ونحوه تقصد، وإليه

يرجع الأمر كله، لأن به وجودها، وقوامها، وبقاءها ودوامها، وكمالها، لأنه هو الموجود المحض، وله البقاء والدوام السرمد، والتمام والكمال المؤيَّد، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاهلون علواً كبيراً"[80].

والخلاصة أن رسالة إخوان الصفا في ماهية العشق على الرغم من صغرها _إذ لم تتجاوز الثمان عشر صفحة_ إلا أنها أثارت جوانب كثيرة من المسائل المتعلقة بالعشق وقدمت دراسة نفسية عميقة لتحليل هذه الظاهرة من خلال ثقافة عصرهم، وأكدوا على الجانب الاجتماعي للحب، وحاولوا ربطه بالفكر الإسلامي[81].

فهدفهم في هذه الرسالة يدور حول الدعوة إلى الترقي من التعلق بالدنيا إلى السمو بالتعلق بالآخرة، والتخلي عن المعشوقات الدنيوية الزائلة، والانشغال بالمعشوق الأول المستحق لكل الحب وهو الصانع الحكيم تبارك وتعالى، فقد جاءت رسالتهم موعظة ودعوة تلخصها عبارة: أحبب من شئت فإنك مفارق، وما دمت ستفارق كل محبوب محدث، فأحب الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

المبحث الثاني: ماهية العشق ومتعلقاته عند ابن سينا

سبب التأليف:

خصص ابن سينا رسالة في ماهية العشق من ضمن رسائله _وتقع في ثلاثين صفحة_ وقد جاءت بناءً على طلب صديقه، قال ابن سينا: "سألتَ _أسعدك الله_ يا أبا عبدالله الفقيه المعصومي أن أجمع لك رسالة تتضمن إيضاح القول في العشق على سبيل الإيجاز"[82]، وبناءً على طلب ذلك الصديق فقد أجابه ابن سينا توخيا لمرضاته، وقضاء لمرامه، وجعل رسالته في ماهية العشق مضمّنة فصولاً سبعة[83].

وصف الرسالة:

تتضمن رسالة العشق لابن سينا سبعة فصول؛ وهي:

1- في ذكر سريان قوة العشق في كل واحد من الهويات.
2- في ذكر وجود العشق في الجواهر البسيطة غير الحية.
3- في ذكر وجود العشق في الموجودات ذوات قوى مغذية من جهة قواها المغذية.
4- في ذكر وجود العشق في الجواهر الحيوانية من حيث لها قواها الحيوانية.
5- في ذكر عشق الظرفاء والفتيان للأوجه الحسان.
6- في ذكر عشق النفوس الإلهية.
7- في خاتمة الفصول.

وإذا كانت رسالة العشق لابن سينا قد جاءت استجابة لطلب صديقه، إلا أن ابن سينا الفيلسوف المحب للحق والخير والجمال والكمال، فقد تدّرج في حديثه عن العشق ليثبت أن ذات العلة الأولى[84] هي الغاية في المعشوقية، فبدأ في رسالته ببيان سريان العشق في كل واحد من الهويات، إذ قال: "كل واحد من الهويات المدبرة لمّا كان بطبيعته نازعاً إلى كماله الذي هو خيريّة هويته المنالة عن هوية الخير المحض نافراً عن النقص الخاص به الذي هو الشرية الهيولانية والعدمية _إذ كل شر فمن علايق الهيولى والعدم_ فبيِّنٌ أن لكلِ واحد من الموجودات المدبرة توقانا طبيعيا وعشقا غريزيا، ويلزم ضرورة أن يكون العشق في هذه الأشياء سببا للوجود لها"[85].

وبيّن ابن سينا السبب في أن العشق هو سبب وجود جميع الهويات يرجع إلى أن كل واحد مما يعبَّر عنه مترتب تحت أمور ثلاثة: إما أن يكون فائزاً بخاص الكمال، أو يكون في غاية النقص، أو يكون متردداً بين الحالتين، أما ما يكون في غاية النقص فهو العدم المطلق، فيبقى الموجودات الحقيقية وهي إما أن تكون مستعدة لنهاية الكمال، أو موصوفة بالتردد بين النقص والكمال، وعليه فإن جملة الموجودات لا تعرى عن ملابسة كمال ما، وملابستها له بعشق ما، ولما كانت الموجودات غير مكتفية بذاتها لوجود كمالها _إذ كمال الهويات المدبرة مستفاد من فيض الكامل

بالذات[86] _ لما كان الأمر كذلك "لم يجز أن يتوهم أن هذا المبدأ المفيد للكمال يقصد بالإفادة واحداً واحداً من جزئيات الهويات على ما أوضحته الفلاسفة، فمن الواجب[87] من حكمته وحسن تدبيره أن يغرز فيه عشقا كليا؛ حتى يصير بذلك مستحفظا لما نال من فيض الكمالات الكلية، ونازعاً إلى الاتحاد بها عند فقدانها ليجرى به أمر السياسة على النظام الكلي، فواجب إذن وجود هذا العشق في جميع الموجودات المدبرة وجوداً غير مفارق ألبتة"[88].

فالعشق هو الذي يحفظ كمال الموجودات، فإذا ما فقد عُدمت تلك الموجودات، قال ابن سينا متمماً كلامه السابق: "وإلا لاحتاجت إلى عشق آخر يستحفظ به هذا العشق الكلي عند وجوده إشفاقاً عن عدمه؛ ويسترده عند فوته قلقا لبعده، وصار واحدُ العشقين معطلا لا طائل له، ووجود المعطل في الطبيعة _أعني الوضع الإلهي_ باطل، على أنه لا عشق خارجا عن العشق المطلق الكلي، وإذن وجود كل واحد من المدبرات بعشق غريزي فيه"[89].

وهنا أخذ ابن سينا بالدعوة إلى رفع الهمم لعشق الخير الذي هو معشوق بذاته، قال: "ولنجعل لهممنا في هذا المرام مرقىً أعلى مما قدمناه، ولنفحص عن الموجود العالي عن التصرف تحت تدبير مدبّر لعظم شأنه، فنقول: إنّ الخير بذاته معشوق، ولولا ذلك لما نَصَب كل واحد مما يشتهي أو يتوق أو يعمل عملاً غرضاً أمامه يتصوره خيرية، فلولا أن الخيرية بذاتها معشوقة وإلا لما اقتصرت الهمم على إيثار الخير في جميع المتصرفات، وكذلك الخير عاشق للخير"[90].

ذلك أن ابن سينا يعّرف العشق بأنه استحسان الحسن والملائم، قال: "لأن العشق ليس في حقيقته إلا استحسان الحسن والملائم جداً"[91]. وعلة العشق عنده النوال من المعشوق، قال: "وعلة العشق هو ما نيل أو سينال منه _أي من المعشوق"[92].

وبيّن ابن سينا أنه مادام الخير معشوقاً بذاته فكلما زادت الخيرية زاد استحقاق المعشوقية وزادت العاشقية للخير، ولما كان الحق المطلق هو الغاية في الخيرية فهو الغاية في المعشوقية، قال ابن سينا: "فإذا تقرر هذا فنقول: إنّ الموجود المقدس عن الوقوع تحت التدبير، إذ هو الغاية في الخيرية، فهو الغاية في المعشوقية والغاية في العاشقية الغاية في المعشوقية أعني بذلك ذاته تعالى، إذ الخير يعشق الخير بما يُتوصل به إليه من نيله لإدراكه، والخير الأول مُدرِك لذاته بالفعل أبدا الدهر في الدهر، فإذا عشقه له أكمل عشق وأوفاه"[93]. ثم بيّن ابن سينا وجود العشق في الهويات البسيطة غير الحية، وهي: الهيولى والصورة والأعراض[94].

وكذلك العشق موجود في الصور النباتية أي النفوس النباتية والحيوانية؛ وهو مختص بقواها الثلاث: التغذية والتنمية والتوليد، إلا أن العشق للقوة النباتية لا تصدر عنه الأفاعيل إلا بنوع طبيعي وبنوع أدنى، أما عشق القوة الحيوانية فإنه يصدر عنه بالاختيار وبنوع أعلى وأفضل[95].

أما عشق الظرفاء والفتيان للأوجه الحسان فقال عنه ابن سينا: "إن من شأن العاقل الولوع بالمنظر الحسن من الناس، وقد يُعدّ ذلك منه في بعض الأحايين تظرّفا وفتّوة، وهذا الشأن إما أن يختص بالقوة الحيوانية، وإما أن يختص بالقوة النطقية، وإما أن يكون بحسب التركيب، لكنه لو كان مختصا بالقوة الحيوانية لما عدة العقلاء تظرّفا وفتوّة، إذ من الحق أن الشهوات الحيوانية إذا تناولها الانسان تناولاً حيوانيا فهو متعرض للنقيصة، ومضر بالنفس الناطقة، ولا هو مما يختص بالقوة النطقية إذ موضوعات شغلها في الكليات العقلية الأبدية لا الجزئيات الحسية الفاسدة، وإذن ذلك بحسب الشركة"[96].

وقد عدّ ابن سينا حب الصور الحسنة الجميلة _باعتبار عقلي لا شهواني_ خطوة مؤهلة للإنسان ليتدرج في معشوقاته الجميلة إلى الجمال المطلق وهو المؤثر الأول والمعشوق المحض، قال: "وبيان ذلك بوجه آخر أن الإنسان إذا أحب الصور المستحسنة لأجل لذة حيوانية فهو مستحق اللوم والإيلام مثل الفرقة الزانية والمتلوّطة وبالجملة الأمة الفاسقة، ومهما أحب الصور المليحة باعتبار عقلي _على ما أوضحناه[97]_ عُدّ ذلك وسيلة إلى الرفعة والتناهي في الخيرية لولوعه بما هو أقرب في التأثير من المؤثر الأول والمعشوق المحض، وأشبه بالأمور العالية الشريفة، وذلك

مما يؤهله لأن يكون ظريفا وفتىً لطيفاً، ولذلك لا يكاد أهل الفطنة من الظرفاء والحكماء ممن لا يسلك طريقة المتعشقين والأنحاح يوجد خالياً عن شغل قلب بصورة حسنة إنسانية"[98].

ذلك أن من كان حسن الصورة كان حسن التركيب الطبيعي، وهو يفيد طيب الشمائل وعذوبة السجايا واستدل ابن سينا على ذلك بحديث شريف إذ قال: "...ولذلك قال عليه السلام ((**اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه**))[99] تيقنا منه أن حسن الصورة لن يوجد إلا عند جودة التركيب الطبيعي، وأن جودة الاعتدال والتركيب مما يفيد طيبا في الشمائل، وعذوبةً في السجايا"[100].

أما وجود بعض الناس فيهم قبح الصورة مع حسن الشمائل فقد أوضح ابن سينا أن ذلك إنما يكون لعذرين: إما أن قبح الصورة جاء لفساد عارض خارجي، أو أن حسن شمائله لا بحسب الطباع بل بحسب الاعتياد، كذلك إن وجد من الناس من هو حسن الصورة قبيح الشمائل فلا يخلو من عذرين: إما أن قبح شمائله عارض لعوارض في الطباع بعد استحكام التركيب، أو يكون ذلك لاعتياد قوي على تلك الشمائل القبيحة[101].

أما الفصل السادس من رسالة ابن سينا في ماهية العشق فهو الفصل المتعلق بذكر عشق النفوس الإلهية، وهي: النفوس الفائزة بمعرفة الخير المطلق، ذلك أن كل واحد من الأشياء الحقيقية الوجود يعشق بطبعه الصور الجميلة وكذا ما يفيده منفعة في وجوده، ومن أدرك شيئا يفيد التشبه به والتقرب إليه زيادة فضيلة ومزية فإنه يعشقه عشق العبد لمولاه[102].

قال ابن سينا: "ثم النفوس الإلهية من البشر والملائكة لا يستحق إطلاق التألّه[103] عليها ما لم تكن فائزة بمعرفة الخير المطلق، إذ من البيّن أن هذه النفوس لن توصف بالكمال إلا بعد الإحاطة بالمعقولات ولا طريق إلى تصور المعقولات المعلولة ما لم تقدم عليها معرفة العلل بالحقيقة وخاصة العلة الأولى"[104].

وأوضح ابن سينا أن العلة الأولى هي الخير المحض المطلق بذاته، إذ إنّه لا علة لها في كمالها، وكمالها ليس بممكن فليس بإزائه نقص، فإذن العلة الأولى مستوفية لجميع ما هي خيرات بالإضافة إليها، فهي خير في ذاتها وبالإضافة إلى سائر الموجودات، إذ إنّها السبب الأول لقوامها وبقائها على أخص وجوداتها وانسياقها إلى كمالاتها[105]، قال ابن سينا: "فإذن **العلة الأولى** خير مطلق من جميع الوجوه، وقد كان اتضح أن من أدرك خيراً فإنه بطباعه يعشقه، فقد اتضح أن العلة الأولى معشوقة للنفوس المتألهة"[106].

فالعلة الأولى كما بيّن ابن سينا معشوقة للنفوس المتألهة البشرية والملكية؛ لأنها سبب وجودها، والموجود فيه نسبة كمال تتمايز بحسب حال كل موجود، فهي سبب وجودها وسبب كمالها وهي خير في ذاتها والخيرية في غيرها مستمدة منها[107].

قال ابن سينا: "وأيضا فإن الخير المطلق لا شك أنه سبب لوجود ذوات هذه الجواهر الشريفة ولكمالها فيها، إذ كمالها إنما هو بأن يكون صوراً عقلية قائمة بذواتها وأنها لن تكون كذلك إلا بمعرفة وهي مصورة لهذه المعاني منه، وقد قلنا: إن مثل هذا عاشق لمثل هذا السبب، فتبين على ما أوضحناه سالفاً أن الخير المطلق معشوق لها أعني لجملة النفوس المتألهة، وهذا العشق فيها غير مزائل، ألبتة وذلك لأنها لا تخلو عن حالتي الكمال والاستعداد ضرورة"[108].

ثم بيّن الفرق بين عشق النفوس الملكية والبشرية، إذ إن العشق موجود ضرورة في النفوس الملكية لفوزها بكمالها، وهو موجود بالشوق الغريزي للكمال في النفوس البشرية المستعدة للكمال، قال ابن سينا: "وقد أوضحنا ضرورة وجود هذا العشق فيها [أي في النفوس المتألهة] حالة كمالها، وأما حالة استعدادها فلن توجد إلا في النفوس البشرية دون الملكية لفوز الملكية بكمال ما وُجدت وقد وُجدت، وهي أعني النفوس البشرية بحالة الاستعداد لها شوق غريزي إلى معرفة المعقولات التي هي كمالها وخاصة ما هو أقود للكمال عند تصوّره وأهدى إلى تصوّر ما سواه، وهذه صفة المعقول الأول الذي هو علة لكون كل شيء معقولٍ سواه معقولاً في النفوس وموجوداً في الأعيان، فلا محالة أن لها عشقاً غريزيا في ذاتها للحق المطلق أوّلاً ولسائر المعقولات ثانيا، وإلا فوجودها

على استعدادها لخاص كمالها مُعطّلٌ، فإذن المعشوق الحق للنفوس البشرية والملكية هو الخير المحض"[109].

وفي الفصل السابع والأخير في رسالة ابن سينا في ماهية العشق، بيّن أن كل الموجودات تعشق الخير المطلق عشقا غريزياً لتجليه لها فيتفاوت قبولها لذلك التجلي بحسب استعداداتها، ويتفاوت كذلك قربها وبعدها عنه، وغاية قربها منه قبول تجليه على الحقيقة _على قدر الإمكان، وهو الاتحاد المعنوي_ لأن الاتحاد لا يكون حقيقياً بين القديم والحادث.

قال ابن سينا: "إن كل واحد من الموجودات يعشق الخير المطلق عشقا غريزيا، وإن الخير المطلق متجل لها لذاته، إلا أن قبولها لتجليه واتصالها به على التفاوت، وإن غايته القربى منه هو قبول تجليه على الحقيقة، أعني على آكد ما في الإمكان وهو المعنى الذي تسميه الصوفية (الاتحاد)، وأنه لجوده عاشق أن يُنال تجليه، وأن وجود الأشياء تجليه"[110].

ولخص ابن سينا سبب كون العلة الأولى هو المعشوق الأول والحقيقي لجميع الأشياء بأنه راجع إلى العشق الغريزي لدى الموجودات لكمالها؛ لأنها بالكمال تنال الخيرية، والمعنى الذي تحصل للموجود خيريته هو المستحق للعشق وهو العلة الأولى الذي هو الخير المحض.

قال ابن سينا: "فنقول: كما كان في كل واحد من الموجودات عشق غريزي لكماله؛ وإنما ذلك لأن كماله معنى به تحصل خيريته، فتبيّن أن المعنى الذي به تحصل للشيء خيريته ما توجد وكيف ما توجد أوجب أن يكون ذلك الشيء معشوقا لمستفيد الخيرية، ثم لا يوجد شيء أولى بذلك من العلة الأولى في جميع الأشياء، فهو إذن معشوق لجميع الأشياء"[111].

وهنا يرد تساؤل وهو: كيف يثبت ابن سينا كون عشق العلة الأولى وعشق الكمالات غريزياً عند جميع الموجودات مع أننا نجد في الواقع من لا يشعر بذلك العشق الغريزي؟

أجاب ابن سينا على مثل هذا التساؤل ببيانه أن عدم معرفة أكثر الأشياء بالله تعالى لا ينفي وجود عشقه الغريزي فيها؛ إذ إنّ عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود؛ فإن إدراك ذلك العشق يتفاوت بحسب قبول تلك الأشياء لتجلي العلة الأولى، فحجابهم هو ما فيهم من القصور والنقص.

قال ابن سينا: "وكون أكثر الأشياء غير عارف به لا ينفي وجودَ عشقه الغريزي فيها [كما لا يوجب ذلك بقاء العشق الغريزي] في هذه الأشياء لكمالاتها، والخير الأول بذاته ظاهر متجلٍ لجميع الموجودات، ولو كان ذاته محتجبا عن جميع الموجودات بذاته غير متجلٍ لها لما عُرِف، ولا نِيلَ منه، ولو كان ذلك في ذاته بتأثير الغير لوجب أن يكون في ذاته المتعالية عن قبول تأثير الغير وذلك خلف، بل ذاته بذاته متجل، ولأجل قصور بعض الذوات عن قبول تجليها يحتجب، فبالحقيقة لا حجاب إلا في المحجوبين، والحجاب هو القصور والضعف والنقص، وليس تجليه إلا حقيقة ذاته، إذ لا متجليَ بذاته في ذاته إلا هو"[112].

وبذلك جاءت رسالة العشق لابن سينا __ ترفع الهمم للتشبه بالعلة الأولى في غايات أفاعيلها دون مباديها؛ لأن مباديها أحوال استعدادية قوية والخير المطلق متنزه عن مخالطة الأحوال الاستعدادية القوية، وغاياتها كمالات فعلية، والعلة الأولى هو الموصوف بالكمال الفعلي المطلق، فجاز أن تتشبه به في الكمالات الغائية، وامتنع أن تتشبه في الاستعدادات[113].

وفي ختام رسالة ابن سينا في العشق وبعد أن بين عشق المخلوق للخالق، أشار إلى عشق الخالق للمخلوق؛ لأن المخلوقات إنما هي تجليات الخير المطلق، ولولا تجليه لما نيل من جوده، ولو لم ينل منه لم يكن وجود، فتجليه علة كل وجود.

قال ابن سينا: "وإذ كان لولا تجلي الخير المطلق لما نيل منه ولو لم يُنل منه لم يكن وجود، فلولا تجليه لم يكن وجود، فتجليه علة كل وجود، وإذن هو بوجوده عاشق لوجود معلولاته، فهو عاشق لنيل تجليه، وإذ معشوق الأفضل لفضله هو الأفضل، فإذن معشوقه الحقيقي في أن يُنال تجليه هو حقيقة نيل نيله النفوس المتألهة له، ولذلك قد يجوز أن يقال: إنّها معشوقاته، وإليه يرجع ما روي في الأخبار (أن الله تعالى يقول: إن العبد إذ كان كذا كذا عشقني وعشقته)[114]"[115].

وقد يفهم من كلام ابن سينا أن عشق الخالق للمخلوق هو عشق الخالق لتجليه وفي أن يُنال تجليه وليس عشقا لذات المخلوق أو المُتجَّلى عليه، فالله تعالى محب لذاته وصفاته ومحب كذلك لأفعاله من حيث هي أفعاله أي تجلياته وليس من حيث ذات المُتجلى عليه، ولا يُقصد بالعشق هنا: فرط المحبة وتجاوز الحد فيها، إذ إن هذا لا يتصور في حق المولى عز وجل، وإنما يقصد بالعشق هنا: استحسان الحسن أي على سبيل المجاز لا الحقيقة اللغوية للفظ (العشق)، وقد أشار ابن سينا إلى ذلك في قوله (قد يجوز أن يقال إنّها معشوقاته) ففيه إشارة وتنبيه الى أن المعنى الظاهر لمصطلح (العشق) غير مقصود في هذا المقام، والله تعالى أعلم.

ولكن هل يفهم من ذلك أن حب الله تعالى للمصطفى صلى الله عليه وسلم وللأنبياء والمرسلين عليهم السلام والصحابة والصالحين رضي الله عنهم هو حب لأنهم مصنوعاته لا لذواتهم؟ الله أعلم بمراده.

وقد أنهى ابن سينا كلامه في هذه المسألة بقوله: "وإذ الحكمة لا تتجوز إهمال ما هو فاضل في وجوده بوجه ما وإن لم يكن في غاية العقلية، فإذن الخير المطلق قد يعشق بحكمته أن يُنال منه نيلا وإن لم يبلغ كمال الدرجة منه، فإذن الملكُ الأعظم رضاه لمن يتشبه به، والملوك الفانية سخطها على من يتشبه بها؛ لأن ما يُرام التشبه به من الملك الأعظم لا يؤتَى على غايته، وما يُرام من التشبه من الملوك الفانية قد يؤتى على مبلغه"[116].

وخلاصة الأمر أن ابن سينا لم يكتب رسالته في العشق بدافع شخصي بل بناء على طلب صديقه الفقيه، فكانت رسالته إجابة على طلب صديقه رسالة تتضمن إيضاح القول في العشق بإيجاز، أوضح من خلالها عشق الموجودات جميعها لعلتها الأولى، ومن الجدير بالذكر أنه وإن كان ابن سينا ألّف رسالته في العشق تلبية لطلب صديقه إلا أن نفساً تواقة للمعرفة محبة عاشقة للمعشوق الأول كنفس ابن سينا لا بد أن تشير لنا الى وجود دافع شخصي له زاد من حماسه للاستجابة لطلب صديقه، وإن لم يصرح بهذا الدافع الخاص، والله تعالى أعلم.

وقد كانت غاية ابن سينا من الحديث عن العشق الدعوة إلى رفع الهمم والسمو بالنفس لعشق المعشوق الأول المستحق لكل العشق وهو الخير المحض والحق المطلق: الله تبارك وتعالى.

الخاتمة:

الحمد لله الذي وفقني لكتابة هذا البحث وقد توصلت من خلاله الى نتائج مهمة كان من أبرزها:

1. إن العشق هو إفراط المحبة أو مجاوزة الحد فيها، ويطلق كذلك على شدة الحب، وللعشق أقسام: فمنه الحلال والحرام والمباح، وقد اتفق العلماء المسلمون على عدم جواز إطلاق اسم العشق والعاشق على الحق تبارك وتعالى، لكنهم اختلفوا في جواز إطلاق العشق والعاشق على العبد تجاه ربه عز وجل على رأيين؛ رأي يمنع ذلك لأنه لا تجاوز للحد في محبة العبد لربه، ورأي يجّوز ذلك على اعتبار أن العشق يراد به المحبة الشديدة البالغة وليس تجاوز الحد، ولكل رأي أدلته، لكن التحقيق في المسألة أن مناط التجويز ومنعه هو تحديد المراد بـ (العشق)؛ فإن كان العشق بمعنى تجاوز الحد في المحبة فالكل يمنعه، وإن كان بمعنى المحبة الشديدة فالكل يجوزه من حيث هذا المعنى، أما مجرد اللفظ ففيه المنع والتجويز، والله تعالى أعلم.
2. إن من أبرز فلاسفة المسلمين الذين خصصوا رسائل عن ماهية العشق: إخوان الصفا وابن سينا، الذين تدرجوا في حديثهم عن العشق الإلهي من الكلام عن العشق المادي البشري وصولاً إلى العشق الإلهي، والملاحظ عندهم أنهم حللوا ماهية العشق وبينوا أسبابه وأسباب تفاوت الناس فيه، وحاولوا شحذ همم الناس إلى الارتقاء من عشق الصور إلى عشق المصوِّر، ومن عشق المخلوق إلى عشق الخالق عز وجل.
3. يمكننا ملاحظة صبغة دينية ظهرت في تفسير إخوان الصفا وابن سينا للعشق البشري والإلهي، إذ استشهدوا على آرائهم ببعض النصوص من الكتاب العزيز والسنة النبوية المشرفة في فهم هذا العشق، فلم يكن مذهب هؤلاء الفلاسفة نابعاً من مجرد التأثر بالفلاسفة اليونان، بل إن

المصادر الإسلامية كانت حاضرة عندهم، بالإضافة إلى ما آتاهم الله تعالى من عقول مفكرة ومعرفة وسعة اطلاع.

4. إن من أوجه الاختلاف بين إخوان الصفا وابن سينا في تناولهم لمسألة العشق: سبب تأليف الرسالة، وعدد صفحاتها، ومنهج الطرح وبعض الآراء.

5. نجد أن إخوان الصفا نقلوا آراء بعض الحكماء في العشق فردوا بعضها وقبلوا بعضها، في حين لم ينقل ابن سينا عن المتقدمين.

6. سبب العشق عند إخوان الصفا يرجع إلى الاتفاق الفلكي بين العاشق ومعشوقه، في حين يرجع عند ابن سينا الى غريزة الموجودات لطلب الكمال والخير. لذا لم يربط إخوان الصفا العشق بحسن الصورة، بينما ربط ابن سينا العشق بحسن الصورة التي تدل على حسن التركيب وعلى الخير والجمال، وهما محبوبان لذاتهما، وأن ما كان على خلاف ذلك فيعود إلى فساد عارض خارجي أو بحسب الاعتياد.

7. قسم إخوان الصفا النفوس إلى ثلاثة: شهوانية وحيوانية وناطقة؛ وبحسب تفاوتها تتفاوت محبتهم، وعند ابن سينا تتفاوت محبوبات البشر بحسب رتبتهم؛ فالأدنى يتعلق بالمحسوسات والأعلى يتعلق بالخير المطلق.

8. يجيز كل من إخوان الصفا وابن سينا إطلاق العشق في حب العبد لربه، وسبب العشق الإلهي عند إخوان الصفا أن كل المحبوبات إما أن نفارقها أو نملّها أو تتغير علينا؛ لذا كان لابد أن نرتقي ونسمو ونتعلق بالحي الذي لا يموت، وهو أصل وجودنا وسبب كمالنا، أما سبب العشق الإلهي عند ابن سينا فهو الغريزة التي فطرت الموجودات عليها في عشق سبب وجودها وكمالها وهو عشق الخير المطلق والمعشوق الأول وهو الله عز وجل.

9. يرجع تفاوت الناس في العشق الإلهي عند إخوان الصفا إلى تفاوت الناس في مراتب نفوسهم التي غلبت عليهم وشغلتهم أو لم تشغلهم عن معشوقهم الأول سبحانه؛ فالعوام ينشغلون بالصنعة والخواص ينشغلون بالصانع، أما عند ابن سينا فسبب التفاوت هو حسب قبول الموجودات لتجلي العلة الأولى؛ فحجابهم هو ما هم فيه من القصور والنقص، وكلما سمو وعلت هممهم ظهرت غريزتهم في عشق المعشوق الأول سبحانه.

10. تناول ابن سينا عشق الخالق للمخلوق (العشق الهابط) وهو يجيز إطلاق صفة العشق على الله تعالى، وأنه يرجع الى عشق الخالق لتجليه وفي أن يُنال تجليه، في حين لم يتطرق إخوان الصفا إلى العشق الهابط واكتفوا بذكر العشق الصاعد من العبد لربه.

11. بالرغم من تفاوت سبب تأليف (رسالة في العشق) واختلاف المنهج وتنوع الآراء بين إخوان الصفا وابن سينا لكنهم مجمعون على هدف واحد؛ وهو تبغيض الناس للعشق الحسي والتعلق بالمخلوقات، وترغيبهم في الارتفاع بالهمم للتعلق بالمعشوق الأول المستحق لكل العشق؛ وهو الخالق سبحانه وتعالى؛ إذ هو سبب وجودنا وهو المكمل لنا سبحانه.

وختاما فبالرغم من اختلاف العلماء المسلمين في حكمهم على إخوان الصفا وابن سينا فإنه يمكن القول إننا قد نتفق وقد نختلف فيما ذهب إليه إخوان الصفا وابن سينا في مسألة العشق، وبغض النظر عما أصابوا فيه أو أخطأوا إلا أننا نؤكد ما ذهبوا إليه من ضرورة رفع همم الناس للتعلق بالخالق وعدم الانشغال بالمخلوق. وآخر دعوانا أن صل اللهم على نبيك المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

1. إخوان الصفا وخلان الوفاء، **رسائل إخوان الصفا(رسالة في ماهية العشق)**، ط1، الدار الاسلامية، بيروت، 1992م.
2. الأشعري، علي بن اسماعيل أبي الحسن، **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، تصحيح وتقديم وتعليق: د.حمودة غرابة، د.ط، المكتبة الازهرية للتراث، القاهرة، د.ت.

3. لأنطاكي، الأديب داود بن عمر، **تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق**، دراسة وتحقيق وتعليق: أيمن البحيري، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت
4. الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، **المواقف في علم الكلام**، د.ط، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت
5. الباقلاني، القاضي محمد بن الطيب، **التمهيد**، د.ط، المكتبة الشرقية، بيروت، 1957م.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1999م
7. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **قاعدة في المحبة**، تحقيق: فوّاز زمرلي، ط1، المكتب الإسلامي/دار ابن حزم، بيروت، 1999م.
8. التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، **شرح العقائد النسفية**، د.ط، دار سعادت، تركيا، 1326هـ.
9. التهانوي، محمد بن علي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
10. الجوهري، اسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: د.إميل يعقوب ود.محمد طرفي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.
11. ابن أبي حجلة، شهاب الدين أحمد المغربي، **ديوان الصبابة**، د.ط، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
12. ابن حزم، علي بن أحمد الظاهري الأندلسي، **طوق الحمامة في الإلفة والألاّف**، تقديم وتحقيق: د.إحسان عباس، ط1، دار المعارف، تونس، 1992م
13. ابن الخطيب، **لسان الدين روضة التعريف بالحب الشريف**، تحقيق وتعليق وتقديم: د.محمد الكتاني، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1970م.
14. ابن الدباغ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، **مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب**، تحقيق: هـ.ريتر، (د.ط)، دار صادر، دار بيروت/بيروت، 1959م.
15. ابن داود الظاهري، محمد الأندلسي، **الزهرة**، تحقيق وتقديم وتعليق: ابراهيم السامرائي، ط2، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1985م.
16. الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، د.ط، دار الفكر، 1981م.
17. الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني الشهير بمرتضى، **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، وبهامشه كتاب الإملاء عن إشكالات الإحياء، د.ط، ج2، دار الفكر، بيروت، د.ت
18. الزمخشري، محمود، **أساس البلاغة**، تحقيق د.فريد نعيم ود.شوقي المعري، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1998م.
19. ابن سينا، الشيخ الرئيس أبو علي، **رسائل ابن سينا (3) (رسالة في ماهية العشق)**، عني بنشرها عن أقدم نسخ خطية وترجمتها إلى اللغة التركية: أحمد آتسن، د.ط، مطبعة إبراهيم خروز، استانبول، 1953م.
20. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، تحقيق محمود الأرناؤوط ومحمد قهوجي، ط2، مكتبة العروبة، الكويت، 1989م. وطبعة بتحقيق:محمد عبد القادر عطا.
21. العجلوني، اسماعيل بن محمد الجراحي، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م.
22. عودة، د.أمين يوسف، **تجليات الشعر الصوفي قراءة في الأحوال والمقامات**، ط1، دار الفارس، عمان/الأردن، 2001م
23. الغزالي، حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
24. الغُماري، الحافظ أبو الفيض أحمد بن الصديق الحسيني، **درء الضعف عن حديث من عشق فعف**، اعتنى به وعلق عليه: إياد أحمد الغَوْج، ط1، دار الإمام الترمذي/دار المصطفى، القاهرة، 1996م.
25. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، **المصباح المنير**، تحقيق: مصطفى السقا، د.ط، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1950م.

26. ابن قيم، شمس الدين عبد الله بن محمد، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، د.ط، دار الثريا، الرياض، د.ت.
27. ابن قيم، شمس الدين عبد الله بن محمد، **مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"**، تحقيق:محمد حامد الفقى، د.ط، دار الكتاب العربي، د.ت.
28. القشيري، عبد الكريم بن هوزان، **الرسالة القشيرية**، تحقيق: د.عبدالحليم محمود، ود.محمود بن الشريف، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت
29. ابن الملوح، قيس، **ديوان مجنون ليلى**، شرح: عدنان زكي درويش، د.ط، دار صادر، بيروت، 1994م.
30. ابن ماجه، محمد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد نصار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
31. ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د. ت
32. الحافظ مغلطاوي، **الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين**، د.ط، مؤسسة الانتشار العربي، د.ت.
33. مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1999م.
34. مكي، د.الطاهراحمد ، **دراسات عن ابن حزم وكتابه (طوق الحمامة)**، د.ط، د.ت.
35. النشار، د.علي سامي وآخرون، **الأصول الأفلاطونية: المأدبة أو في الحب لأفلاطون، مع دراسة نقدية عن أثر المأدبة في الفكر الفلسفي**، د.ط، دار الكتب العلمية، 1970م
36. الهجويري، علي بن عثمان، **كشف المحجوب**، دراسة وترجمة وتعليق: د.إسعاد قنديل، د.ط، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، 1994م.

References:

Al Antaki, Dawood bin Omar, decorating the markets in detail of the lovers' longings, study, investigation and commentary: Ayman Al-Beheiri, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut.

Al Tahanawy, Muhammad bin Ali, Kashaf Istilahat Al Fonon, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1998.

Al-Ajlouni, Ismail bin Muhammad Al-Jarrahi, revealed the invisibility and of what had been known of the hadiths on people's tongues, 2nd e, Al-Risala Foundation, Beirut, 2000.

Al-Ashari, Ali bin Ismail Abi Al-Hassan, the brightness in responding to the people of the aberration and innovation, corrected, presented and commented: Dr. Hamouda Ghoraba, Dr. I, Al-Azhar Library, Cairo.

Al-Baqalani, Al-Qadi Muhammad Bin Al-Tayeb, The Preface, The Eastern Library, Beirut, 1957 .

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, Sahih Al-Bukhari, 1st E, Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam, Beirut, 1999 .

Al-Ghammari, Al-Hafiz Abu Al-Fayd Ahmad Bin Al-Siddiq Al-Husseini, Dara al dahf, commented on it by: Iyad Ahmed Al-Ghog, 1st e, Dar Al-Imam Al-Tirmidhi / Dar Al-Mustafa, Cairo, 1996.

Al-Ghazali, Hajjah of Islam, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad, Al iqtisad fe al etikad, 1st e, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1988.

Al-Gohary, Ismail bin Hammad Al-Farabi, Al-Sahah, "The Language of Linguistics" and "Sahih Al-Arabiya", an investigation by: Dr. Emile Yaqoub and Dr. Muhammad Tarfi, 1st E, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1999 .

Al-Hafez Mughaltawi, al wadih al moben, the Arab Diffusion Foundation.

Al-Hujairi, Ali bin Othman, kashf al mahjoob, Dr. isad Kandil, Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1994.

Al-Iiji, Adad Al-Din Abdul Rahman bin Ahmed, Attitudes in theology, Al-Mutanabi Library, Cairo.

Al-Nashar, Dr. Ali Sami and others, The Platonic Origins, Scientific Books House, 1970.

Al-Qushairi, Abd al-Karim bin Hawzan, Al-Risala al-Qushayriyah, investigation: Dr. Abd al-Halim Mahmoud, and Dr. Mahmoud bin al-Sharif, Dar al-Ma`rif, Cairo.

Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakr, Mukhtar Al-Sahah, Dr. I, Dar Al-Fikr, 1981.

Al-Suyuti, Jalaluddin Abdul Rahman, Al-Durrar scattered in the famous hadiths, investigation by Mahmoud Al-Arnaout and Muhammad Kahwaji, 2nd e, Al-Oruba Library, Kuwait, 1989.

Al-Taftazani, Saad Eddin Masoud bin Omar, Explanation of Al Nasafiyah Creeds, Dar Saadat, Turkey, 1326 H.

Al-Zamakhshari, Mahmoud, The Basis of Rhetoric, Investigation by Dr. Farid Naim and Dr. Shawky Al-Maari, 1st E, The Lebanon Publishers Library, Lebanon, 1998.

Al-Zubaidi, Muhammad ibn Muhammad al-Husayni, Ithaf Al Sada Al Motakin, Dar Al-Fikr, Beirut.

Fayoumi, Ahmed bin Muhammad bin Ali, the luminous lamp, investigation: Mustafa Al-Sakka, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library, Cairo, 1950.

Ibn Abi Hijleh, Shehab Al-Din Ahmad Al-Maghrabi, Diwan Al-Sababah, Dar Al-Hilal Library.

Ibn al-Dabbagh, Abd al-Rahman bin Muhammad al-Ansari, Mashreq Anwar Al Qolob, investigation: H. Ritter, (d.), Dar Sader, Dar Beirut / Beirut, 1959.

Ibn al-Khatib, Lisan al-Din, Rawdat Al Tarif, investigation, comment and presentation: Dr. Muhammad al-Kettani, 1st E, Dar al-Thaqafa, Casablanca, 1970.

Ibn al-Malluh, Qais, Diwan Majnun Laila, Sharh: Adnan Zaki Darwish, Dr. I, Dar Sader, Beirut.

Ibn Dawood Al-Dhaheri, Muhammad Al-Andalusi, Al-Zahra, Investigation, Presentation and Commentary: Ibrahim Al-Samarrai, 2nd E, Al-Manar Library, Zarqa, Jordan, 1985.

Ibn Hazm, Ali bin Ahmed Al-Dhaheri Al-Andalusi, Took Al Hamamah, presented and investigated: Dr. Ihssan Abbas, 1st edition, Dar Al-Maarif, Tunis, 1992.

Ibn Majah, Muhammad al-Qazwini, Sunan Ibn Majah, investigation: Muhammad Nassar, 1st e, Dar al-Kutub al-Alamiyya, Beirut, 1998.

Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram, Lisan Al-Arab, Dar Al-Maarif, Cairo.

Ibn Qayyim, Shams al-Din Abdullah bin Muhammad, madarij al salikeen, investigation: Muhammad Hamid Al-Fiqi, Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Ibn Qayyim, Shams al-Din Abdullah bin Muhammad, the adequate answer for those who asked about healing medicine or disease and medication, Dar Al-Thuraya, Riyadh.

Ibn Sina, Sheikh President Abu Ali, letters of Ibn Sina (3) (a message in the essence of love), translated into Turkish by: Ahmed Atsen, d. I, Ibrahim Kharouz Press, Istanbul, 1953.

Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn Abd al-Halim, a rule in love, an investigation: Fawaz Zomorli, 1st E, Islamic Office / Dar Ibn Hazm, Beirut, 1999.

Makki, Dr. Al-Tahir Ahmad, studies on Ibn Hazm and his book (Tawk al-Hamama).

Muslim, Ibn al-Hajjaj al-Nisaburi, Sahih Muslim, 1st e, Dar al-Arqam ibn Abi al-Arqam, Beirut, 1999.

Odeh, Dr. Amin Yusef, The Transfiguration of Sufi Poetry, 1st e, Dar Al-Faris, Amman ,Jordan, 2001.

The Brothers of Al-Safa and Khellan Al-Wafa, The Messages of the Brothers of Al-Safa (A Message in the Essence of Love), First Edition, Islamic House, Beirut, 1992 AD.

---

(1) الجوهري، **الصحاح**، ج4، ص282. الفيومي، **المصباح المنير**، ج1، ص563. الزبيدي، **تاج العروس**، ج7، ص13.

(2) "دَعَرَ: الدَّعَر بفتحتين والدّعارة بالفتح: الخُبْث والفِسْق". الرازي، **مختار الصحاح**، ص205.

(3) ابن منظور، **لسان العرب**، ج9، ص224. وقال الزمخشري: "واشتقاق العشق من العَشَقَة وهي اللِّبْلاب، لأنه يلتوي على الشجر ويلزمه" الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص546.

(4) انظر: ابن داود الظاهري، **الزهرة**، ج1، ص56. الحافظ مغلطاوي، **الواضح المبين**، ص42-43. الأنطاكي، **تزيين الأسواق**، ص59، وقيل فيه إنه تعريف لأبقراط. والله تعالى أعلم.

(5) يمكنك التعرف على تفاصيل التصور الفلسفي للحب مع تحليلها في مأدبة أفلاطون في: د.علي سامي النشار وآخرون، **المأدبة أو في الحب الأفلاطوني مع دراسة نقدية عن أثر المأدبة في الفكر الفلسفي**، ص93-224.

(6) الحافظ مغلطاوي، **الواضح المبين**، ص43. ونقل الأنطاكي تعريفا آخر لأفلاطون وهو أن "العشق غريزة تتولد عن الطمع" الأنطاكي، **تزيين الأسواق**، ص60.

(7) الحافظ مغلطاوي، **الواضح المبين**، ص45. وانظر تعريفا مفصلا لأرسطو للعشق في: الأنطاكي، **تزيين الأسواق**، ص53.

(8) الحافظ مغلطاوي، **الواضح المبين**، ص47.

(9) **المصدر ذاته**، ص43. وهذا نحو ما أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: [حبك الشيء يعمي ويصم].

(10) لسان الدين بن الخطيب، **روضة التعريف**، ج1،ص340. ابن أبي حجلة، **ديوان الصبابة**، ص19.

(11) ابن أبي حجلة، **ديوان الصبابة**، ص19، وقال: "ولذلك شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الكتمان في الحديث الصحيح لاستعصائه على الطباع"اهـ. والحديث مشهور وهو ((**من عشق فعفّ فكتم فمات فهو شهيد**)) وفي قبوله اختلاف بين المحدثين، فقد رده البعض كابن قيم الجوزية في كتابه: **الجواب الكافي**، ص242-243. وقبله البعض كما نقل عنهم السيوطي في: **الدرر المنتثرة**، ص124. والأنطاكي في: **تزيين الأسواق**، ص36. والعجلوني في: **كشف الخفاء**، ج2، ص345-346. وقد ألّف الحافظ أبو الفيض أحمد بن الصديق الغُماري (ت1380هـ)، كتابا كاملا في تخريج هذا الحديث سمّاه: **درء الضعف عن حديث من عشق فعف**، ذكر فيه كل الآراء والتخريجات للحديث ووصل إلى نتيجة ملخصها: أن هذا الحديث صحيح رواية ودراية، والله تعالى أعلم، فليرجع إليه في: الغماري، **درء الضعف عن حديث من عشق فعف**، ويقع في 141 صفحة في مجلد واحد.

(12) ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**، ج3، ص28.

(13) انظر: التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، ج3، ص284.

(14) لسان الدين بن الخطيب، **روضة التعريف**، ج1، ص351.

(15) انظر: ابن قيم الجوزية، **الجواب الكافي**، ص218.

(16) انظر: د.أمين عودة، **تجليات الشعر الصوفي**، ص210.

(17) وهذا له نظير في السنة المشرفة، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: ((**لم ير للمتحابين مثل النكاح**)). خرجه: الحافظ مغلطاوي، **الواضح المبين**، ص40-41. وابن ماجه في **سننه**، ك النكاح، ب1، ح(1847)، ج2، ص415-416. والحديث صحيح على شرط الامام مسلم كما قال الحاكم. انظر تخريج الحديث وتصحيح العلماء له في حاشية المحقق من **نفس المصدر**.

(18) الحديث الشريف سبق تخريجه.

(19) اخرجه الإمام مسلم في **صحيحه**، ك النكاح، ب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه أن يأتي امرأته...، ح10/3390(1403))، ص647.

(20) الحديث الشريف أورده السيوطي في **الدرر المنتثرة**، ص63-64. والعجلوني في **كشف الخفاء**، ج1، ص405-408.

(21) اخرجه البخاري في **صحيحه**، ك النكاح، ب قول النبي صلى الله عليه وسلم (من استطاع...)، ح5065، ص1115.

(22) أخرجه البخاري في **صحيحه**، ك النكاح، ب الترغيب في النكاح، ح5063، ص1115.

[23] انظر: ابن قيم الجوزية، **الجواب الكافي**، ص240-241. وانظر شرحه لفضل حب الرجل لزوجته في: **المصدر ذاته**، ص236-240.

[24] الحديث الشريف سبق تخريجه.

[25] انظر: ابن قيم الجوزية، **الجواب الكافي**، ص218-227. الحافظ مغلطاوي، **الواضح المبين**، ص62-65. الأنطاكي، **تزيين الأسواق**، ص35، ص52.

[26] انظر: ابن قيم الجوزية، **الجواب الكافي**، ص213-218.

[27] د.أمين عودة، **تجليات الشعر الصوفي**، ص209.

[28] أعراض العشق كثيرة منها: إدمان النظر في المعشوق، والسهر وحب الوحدة، والبكاء... إلى غير ذلك، انظر شرح الكثير منها في: ابن حزم الظاهري، **طوق الحمامة**، ص92-103. الحافظ مغلطاوي، **الواضح المبين**، ص95-107. ابن أبي حجلة، **ديوان الصبابة**، ص14-18.

[29] انظر أدلة الفريقين في: ابن قيم الجوزية، **روضة المحبين**، ص117-125 و126-135.

[30] **المصدر ذاته**، ص136، وانظر تفاصيل كلامه في العشق الممدوح والمذموم في: **المصدر ذاته**، ص136-138. وله: **الجواب الكافي**، ص228-241.

[31] ابن داود الظاهري، **الزهرة**، ج1، ص56.

[32] ابن قيم الجوزية، **الجواب الكافي**، ص212.

[33] **المصدر ذاته**، نفس الصفحة، وقائل البيت هو مجنون ليلى انظر: **ديوان مجنون ليلى**، ص218.

[34] ابن قيم الجوزية، **الجواب الكافي**، ص212.

[35] لسان الدين بن الخطيب، **روضة التعريف**، ج1، ص351.

[36] انظر: إخوان الصفا، **رسالة في ماهية العشق**، ج3، ص284-286. ابن سينا، **رسالة في ماهية العشق**، ص21-29. ولسان الدين بن الخطيب، **روضة التعريف**، ج1، ص351، من كلام محققه: محمد الكتاني في الحاشية.

[37] انظر تفصيل الآراء مع أدلتها في: ابن تيمية، **قاعدة في المحبة**، ص116-123.

[38] ابن قيم الجوزية، **روضة المحبين**، ص23، ولم أعثر على الأثر المذكور.

[39] **المصدر ذاته**، ص23.

[40] القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج2، ص488.

[41] الهجويري، **كشف المحجوب**، ج2، ص553.

[42] **المصدر ذاته**، ج2، ص553-554.

[43] إخوان الصفا وخلان الوفاء، **رسائل إخوان الصفا(رسالة في ماهية العشق)**، ج3، ص270.

[44] **المصدر ذاته**، ج3، ص270.

[45] الحافظ مغلطاوي، **الواضح المبين**، ص40.

[46] إخوان الصفا، **رسالة في ماهية العشق**، ج3، ص270.

[47] انظر: **المصدر ذاته**، ج3، ص275.

48[48] ابن الدباغ، **مشارق أنوار القلوب**، ص52.

[49] **المصدر ذاته**، ج3، ص272.

[50] انظر: إخوان الصفا، **رسالة في ماهية العشق**، ج3، ص272.

[51] انظر: **المصدر ذاته**، ج3، ص272-273، ص275.

[52] انظر: **المصدر ذاته**، ج3، ص273-275.

[53] انظر: **المصدر ذاته**، ج3، ص275.

[54] **المصدر ذاته**، ج3، وص276.

[55] انظر: **المصدر ذاته**، نفس ج وص.

[56] إخوان الصفا، **رسالة في ماهية العشق**، ج3، ص276-277.

[57] انظر: **المصدر ذاته**، ج3، ص277-278.

[58] انظر تفاصيل ذلك في: **المصدر ذاته**، ج3، ص278-279.

[59] **المصدر ذاته**، ج3، ص279.

[60] انظر: إخوان الصفا، **رسالة في ماهية العشق**، ج3، ص279-280. باختصار.

[61] **المصدر ذاته**، ج3، ص280.

[62] **المصدر ذاته**، نفس ج وص. وانظر بيان ذلك بحسب كل نفس من النفوس الثلاث مفصلا في: **المصدر ذاته**، ج3، ص280-281.

[63] إخوان الصفا، **رسالة في ماهية العشق**، ج3، ص281.

[64] **المصدر ذاته**، نفس ج وص.

(65) لم اجد هذا الخبر.
(66) هو إشارة إلى حديث سيدنا جبريل عليه السلام الطويل وفيه في معنى الإحسان ((**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)).
(67) إخوان الصفا، **رسالة في ماهية العشق،** ج3، ص281-282.
(68) سورة القيامة، الآية 22.
(69) انظر أدلة مثبي الرؤية ومنكريها والرد على المنكرين مثلا في: الأشعري، **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع،** ص61-68. الباقلاني، **التمهيد،** ص267-279. الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد،** ص41-48. الإيجي، **المواقف،** ص299-310. التفتازاني، **شرح العقائد النسفية،** ص103-109.
(70) إخوان الصفا، **رسالة في ماهية العشق،** ج3، ص282.
(71) **المصدر ذاته،** ج3، ص282.
(72) انظر: **المصدر ذاته،** ج3، ص282-283.
(73) انظر: **المصدر ذاته،** ج3، ص283.
(74) **المصدر ذاته،** ج3، ص283.
(75) انظر: **المصدر ذاته،** ج3، ص283-284.
(76) **المصدر ذاته،** ج3، ص284.
(77) **المصدر ذاته،** ج3، ص284-285. وقد بين إخوان الصفا تلك الشرائط المحدودة في رسائلهم في رسالة البعث والقيامة التالية لهذه الرسالة مباشرة، انظر: **المصدر ذاته،** ج3، ص286 وما بعدها.
(78) إخوان الصفا، **رسالة في ماهية العشق،** ج3، ص285.
(79) **المصدر ذاته،** ج3، ص285.
(80) **المصدر ذاته،** ج3، ص286.
(81) انظر: د.الطاهر مكي، **دراسات عن ابن حزم،** ص243.
(82) الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا(ت428هـ)، **رسائل ابن سينا: (رسالة في ماهية العشق)،** ص3.
(83) انظر شرح تلك الفصول كاملة في: **المصدر ذاته،** ص3-30.
(84) يعبر ابن سينا عن (الله) بعدة اصطلاحات منها: المؤثر الأول، المعشوق الأول، العلة الأولى، الخير المطلق، الخير المحض، الحق المطلق، فأينما وردت هذه الاصطلاحات في كلام ابن سينا فإنه يقصد به الصانع الخالق وهو الله تبارك وتعالى.
(85) ابن سينا، **رسالة في ماهية العشق،** ص4.
(86) انظر: **المصدر ذاته،** ص4-5.
(87) الصواب أنه لا يجب على الله تعالى شيء وهو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة.
(88) ابن سينا، **رسالة في ماهية العشق،** ص5-6.
(89) **المصدر ذاته،** ص6.
(90) **المصدر ذاته،** نفس الصفحة.
(91) **المصدر ذاته،** نفس الصفحة.
(92) **المصدر ذاته،** ص7.
(93) ابن سينا، **رسالة في ماهية العشق،** ص7.
(94) فصّل ابن سينا الكلام في العشق الغريزي للبسائط غير الحية، انظر: **المصدر ذاته،** ص9-10.
(95) انظر تفصيل ذلك في: **المصدر ذاته،** ص10-13.
(96) **المصدر ذاته،** ص18، وقد قدم ابن سينا لهذا العشق (عشق الظرفاء والفتيان) بأربع مقدمات انظر: **المصدر ذاته،** ص14-17.
(97) وهو ما شرحه في المقدمات من أن النفس النطقية مهما ظفرت بشيء حسن التركيب لاحظته بعين المحبة لكونه أقرب إلى المعشوق الأول الذي هو غاية في الحسن والجمال. انظر تفصيل ذلك في: ابن سينا، **رسالة في ماهية العشق،** ص17.
(98) **المصدر ذاته،** ص18.
(99) حديث ((**اطلبوا الخير عند حسان الوجوه**)) قال عنه العجلوني: وطرقه كلها ضعيفة وأحسنها ما أخرجه تمام عن ابن عباس رفعه بلفظ ((**التمسوا الخير**)) وكذا ما أخرجه البخاري في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: العجلوني، **كشف الخفاء،** ج1، ص152-153، وانظر تخريج الحديث كذلك في: السيوطي، **الدرر المنتثرة،** ص42-43.
(100) ابن سينا، **رسالة في ماهية العشق،** ص19.
(101) انظر تفصيل ذلك في: **المصدر ذاته،** ص18-20 .

(102) انظر: **المصدر ذاته،** ص21.

(103) لا يقصد بالتأله تحول المخلوق إلهاً بل التخلق بأخلاق الإله تحققا بقول الله تعالى: {...ولكن كونوا ربانيين} سورة آل عمران، الآية79، والله تعالى أعلم.

(104) ابن سينا، **رسالة في ماهية العشق،** ص21.

(105) انظر تفصيل ذلك في: **المصدر ذاته،** ص21-23.

(106) **المصدر ذاته،** ص23.

(107) انظر تفصيل ذلك في: **المصدر ذاته،** ص23-24.

(108) **المصدر ذاته،** ص24.

(109) **المصدر ذاته،** نفس الصفحة.

(110) **المصدر ذاته،** ص25، ولا يقصد بقوله (الاتصال به) و(الاتحاد) إلا المعنى المجازي لا الحقيقي للاتصال والاتحاد لامتناع ذلك بين القديم والحادث، والله تعالى أعلم.

(111) **المصدر ذاته** ، ص25.

(112) **المصدر ذاته،** ص25-26.وانظر شرحه لأوجه تجلي العلة الأولى في:**المصدر ذاته،**ص26-28.

(113) انظر: ابن سينا، **رسالة في ماهية العشق،** ص28-29.

(114) هذا الخبر لم اجده، وقد قال فيه ابن قيم الجوزية: (أثر لا يثبت). ابن قيم الجوزية، **روضة المحبين،** ص23.

(115) ابن سينا، **رسالة في ماهية العشق،** ص29.

(116) ابن سينا، **رسالة في ماهية العشق،** ص29.